برنامج تفصيلي

لطلب العلم الشرعي



إعداد
أبو سعيد بلعيد بن أحمد

دار الإمام مالك

برنامج تفصيلي لطلب العلم الشرعي

إعداد
أبي سعيد بلعيد بن أحمد

دار الإمام مالك
025.39.13.18

بسم الله الرحمن الرحيم

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الأولى

دار الإمام مالك
البليدة - الجزائر
طباعة . نشر . توزيع

تطلب جميع منشوراتنا من مكتبة الإمام مالك
باب الوادي - الجزائر هاتف : 070.36.10.57

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران:102].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا اللهَ الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[النساء:1].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾[الأحزاب:70- 71].

أمّا بعد:

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

وبعد:

فهذا منهاج مفصّل لطلب العلم الشّرعي مُجزّأ إلى ثلاث مراحل مما يحتاجه طالب العلم الذي يريد الاطّلاع على الكتب المفيدة للحصول على العلم النافع والتفقّه فيه، في زمن قلّ فيه العلماء المعتمَدون، إذ الأصل هو الأخذ من أفواههم، والتربية على أيديهم، وهي طريقة الأنبياء مع الناس، وهي سنّة النبي محمّد ﷺ.

قال الله تعالى:﴿فوجدَا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنّا علما، قال له موسى هل أتّبعك على أن تعلّمني مما عُلّمتَ رشدًا﴾[الكهف:65- 66].

وقال الله تعالى:﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينةَ الحياة الدّنيا ولا تُطع من أغفلنا قلبَه عن ذكرنا واتّبع هواه وكان أمرُه فرطًا﴾[الكهف:28].

وقال تعالى:﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلامٌ عليكم كتب ربّكم على نفسه الرحمةَ أنه مَن عَمل منكم سُوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنّه غفور رحيم﴾ [الأنعام:54].

وقال تعالى:﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلمَ ماذا قال آنفًا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتّبعوا أهواءهم، والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾[محمد:16- 17].

وعن أبي واقد اللّيثي رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذْ أقبل ثلاثةُ نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد. قال: فوقفا على رسول الله ﷺ. فأمّا أحدهما: فرأى فُرجة في الحلقة فجلس فيها، وأمّا الآخر: فجلس خلفهم، وأمّا الثالث: فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال:«ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أمّا أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأمّا الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأمّا الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»[1].

وإنّ وجودَ الكتب وانعدام العلماء لا يغني من ليس بعالم شيئا. قال الله تعالى:﴿ومنهم أُمّيون لا يعلمون الكتابَ إلاّ أمانيّ وإن هم إلاّ يظنّون﴾[البقرة:78].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعتُ النبيّ ﷺ يقول:«إنّ اللهَ تعالى: لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا من العباد، ولكن يقبضُ العلمَ بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْق عالِمًا اتخذ الناسُ رؤساء جُهّالاً، فسئِلوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا»[2]

وعن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال:كنّا مع رسول الله ﷺ فشخَصَ ببصره إلى السماء ثم قال:«هذا أوانُ يُختلس العلمُ من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء». فقال زياد بن لَبيد الأنصاري: كيف يُختلس منّا وقد قرأنا القرآن، فوالله لنقرأنّه ولنُقرئنّه نساءنا وأبناءنا، فقال: ثكلتْك أمّك يا زيادُ، إن كنتُ لأَعُدُّك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تُغني عنهم؟ قال جُبَير بن نُفير: فلقيتُ عبادةَ بن الصامت، قلتُ: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدّرداء؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدّرداء، قال:

---

1 - رواه البخاري ومسلم.

2 - رواه البخاري ومسلم.

صدق أبو الدّرداء، إن شئتَ لأحدثنك بأوّل علم يُرفع من الناس؟ الخشوعُ، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعًا»[1].

قال الحافظ أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني رحمه الله:«إنّ بقاء الكتب بعد رفع العلم بموت العلماء لا يغني من ليس بعالم شيئًا»اهـ[2].

قال ابن عون:«لا تأخذوا العلمَ إلاّ ممن شُهِدَ له بالطَلب»اهـ[3].

وقال سعيد بن عبد العزيز رحمه الله:«لا يؤخذ العلم من صحفي»[3].

قال الأستاذ الأمين الحاج محمد أحمد:«أكبر مشكلة تواجه التعليم الشرعي -اليوم- عدم وجود المشايخ المقتدرين الأكْفاء، وإن وُجِد منهم القليل فصعوبة الوصول إليهم، وملازمتهم مع ظروف الحياة والارتباطات المختلفة بالنسبة للعالِمِ والمتعلّم تحول دون ذلك، وليس هناك من مجال -اليومَ- لكثير من الرّاغبين في العلم الشرعي إلاّ أن يعلّموا أنفسهم بأنفسهم. ولو جلس المرءُ يبحث عن الشيخ القدوة الذي يتلقى منه العلم لطال انتظاره، ولربّما لم يوفَّق لذلك أبدًا.

خطورة التّعلّم بدون شيخ[4]: والتّعلّم بدون شيخ – يوجّه السلوك، ويصوّب الخطأ – له مضارّ كثيرة، ومنه خوف شديد. فكثير من الانحرافات التي نراها – اليومَ- مردّها في الغالب إلى هذا السّبب "غياب المشايخ "، وذلك ما جعل العامّة يُردّدون حديثًا موضوعًا:«الذي ليس له شيخ شيخه الشيطان»، لصحّة معنى هذا الكلام، لأنّ المرء يتلقّى من الشيخ الآتي:

---

[1] - رواه أحمد، والترمذي واللّفظ له. وقال هذا حديث حسن غريب. ورواه ابن ماجة، والحاكم وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (6990).

[2] - فتح الباري بشرح صحيح البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسّنة تحت باب ما يُذكر من ذمّ الرّأي (13/ 244).

[3] - التّمهيد لابن عبد البرّ (1/ 39).

[4] – عنوان جانبي منّي للتوضيح.

1- العلم.

2- السّلوك والأدب: فليس العلم بكثرة المعلومات، وإنما فائدة العلم بالتأثير على السلوك، وبالتفاعل مع المجتمع، وبتصحيح المعتقد والتّصوّر.

3- تصحيح المفاهيم الخاطئة، وردّ المتعلّم إلى الصّواب.

4- الاقتداء بالشيخ في السَّمْتِ، لأنّ السّمتَ الصالح، والهدي الصالح[1] جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة[2]. وليس معنى هذا أن الشيخ يعصم عن الزّلل والخطأ، ولكنه يقلّل حدوث ذلك إلى حدّ كبير.

كذلك من مضارّ عدم التلقّي من المشايخ أنّ المرءَ إذا اعتقد شيئا ورسخ في ذهنه ولم يجد من يصوّبه ويصحّح فهمه في الحال، أخذتْه العزّة بالإثم عن الرجوع عن ذلك، خاصّة لو ساد هذا الرجلُ قومَه أو تزعّم جماعة من الجماعات الإسلامية، مما يجعل خطره متعدّيًا، وشرّه مستطيرًا. وقد حذّر من ذلك بعض أهل العلم فقال:

يظنّ الغِمر[3] أن الكتب تهدي *** أخا جهل لإدراك العلومِ
وما علِم الجهول بأن فيها *** مداركَ قد تَدِقُّ على الفهيمِ
ومَن أخذ العلومَ بغير شيخٍ *** يضلّ عن الصراط المستقيم
وكم من عائب قولاً صحيحًا *** وآفتُه من الفهم السّقيم

وحتى إذا وجدنا الشيخ المتخصّص المتمكّن من علمه كما هو الحال في بعض الجامعات والكليات الإسلامية، لا تجد فيه القدوة الحسنة، ولا السلوك الديني، ولا

---

[1] - السّمْت الصالح: حسن المنظر والهيئة على طريقة أهل الإسلام، والهدي الصالح: الطريقة والسّيرة الصالحة.

[2] - كما جاء في الحديث: «إنّ الهدي الصالح، والسّمتَ الصالح، والاقتصاد، جزء من خمسةٍ وعشرين جزءا من النبوّة». رواه أحمد، وأبو داود. وهو حديث حسن كما في صحيح الجامع (1993).

[3] - الغِمر: غير المجرّب. جَمْعُه أغمار.

السّمت والمظهر الإسلامي. ولو وُجد كل ذلك لم تتيسّر الاستفادة منه بالقدر المطلوب للطريقة والنظام التعليمي المتّبع الآن»اهـ[1].

وقال الشيخ بكر أبو زيد:«الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقّي عن الأساتيذ والمُثافنة[2] للأشياخ، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، والأول من باب أخذ النسيب عن النسيب الناطق وهو المعلِّم، أمّا الثاني-عن الكتاب- فهو جماد، فأنى له اتصال النسب. وقد قيل:«من دخل في العلم وحده، خرج وحده»، أي من دخل في طلب العلم بلا شيخ خرج منه بلا علم. إذِ العلمُ صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع، فلا بدّ إذن لتعلّمها من معلّمها الحاذق. وهذا يكاد يكون محلّ إجماع كلمة من أهل العلم إلاّ من شذّ مثل علي بن رضوان المصري الطبيب «متوفّى سنة 453هـ»، وقد ردّ عليه علماء عصره ومن بعدهم»اهـ.

ثم قال:«وقال الوليد: كان الأوزاعي يقول: كان هذا العلمُ كريما يتلاقاهُ الرجالُ بينهم، فلمّا دخل في الكتب دخل فيه غير أهله». وروى مثلَها ابنُ المبارك عن الأوزاعي» اهـ[3].

وقال الأستاذ عبد العزيز القارئ:«التعلّم في الإسلام ليس مجرّد جمع للمعلومات في الصدور، التعلّم في الإسلام تربية، فتحتاج إلى من يربّيك بهذا العلم وينبهك إلى دقائقه وفوائده، ويحلّ لك مشكلاته، وهذا لا يتحقق إلاّ بأخذ العلوم من الشيوخ»اهـ[4].

وقال المؤرّخ عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله:«اعلم أنه مما أضرّ بالناس في تحصيل العلم، والوقوفِ على غاياته، كثرة التآليف، واختلاف الاصطلاحات في التعليم، وتعدّد طرقها، ثم مطالبة المتعلّم والتلميذ باستحضار ذلك، وحينئذ يسلم له منصب التحصيل.

---

[1] - نقلاً عن كتاب: العلم- فضله- طلبه للأستاذ الأمين الحاج محمد أحمد ص (79- 80).

[2] - المثافنة: الملازمة والمصاحبة والمواظبة والمجالسة. انظر كتاب لسان اللسان تهذيب لسان العرب. المكتب الثقافي لتحقيق الكتب.

[3] - من كتاب حلية طالب العلم ص (22- 24).

[4] - من كتاب برنامج عَملي للمتفقّهين ص 48.

فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها، ومراعاة طرقهـا، ولا يفـي عمـره بـها كُتِبَ في صناعة واحدة إذا تجرّد لها، فيقع القصور ولابدّ دون رتبة التحصيل»اهـ[1].

ما الحلّ إذن؟

إذا لم يوجد العلماء المتفرّغون لنشر العلم، -كما هو الغالـب في هـذا الزمـان- ألا يتعلّم المسلم شريعته ؟ ألا يتفقّه في دينه ؟ بلَى ليتعلّم دينه ولو من الكتب والأشرطة، لكن بشروط.

- **قال الشيخ عليّ بن حسن الحلبي** حفظه الله تعالى:«وكان المنهاج الصحيح الـذي سار عليه السابقون من أهل العلم في تحـصيلهم وطلـبهم للعلـوم هـو: ملازمـة المشايخ والعلماء، والأخذ من أفواههم. ولكن في أيامنا هذه ذهب الشيوخ المعتَمَدون، ولم يبـق إلاّ قلّة منهم، وتلاشت حلقات العلم، وفقدت مجالس التفقّه [الصحيح][2] في دين الله ! فكان ماذا ؟ ألا يتعلم المسلم دينه ؟ ألا يتفقه المسلم في شريعته ؟ بلى، فلابـدّ للمـسلم مـن هـذا كلّه»اهـ[3].

- **وقال الأستاذ الأمين الحاج**:«مع قلّة وجود العلـماء الأكفـاء وعـدمهم في بعـض البلاد، وصعوبة ملازمتهم والاستفادة منهم، نسبة لظروف الحياة المختلفة، ونسبة لأهميـة العلم الشرعي، وحاجة المسلم الماسّة إليه، فينبغي على المسلم أن يـسعى وبكـلّ الوسـائل لتعليم نفسه ما يجب عليه معرفته من دينه، وذلك عن طريق التعامل مع الكتب مباشرة مع الاجتهاد والحرص على مجالسة من تيسّر له من أهل العلم وسؤالهم واستشارتهم فيما يبـدأ به من الكتب، وفيما يقتني من كتب في كل مجالات العلوم الشرعية. هذا بالنسبة للشخص القادر على القراءة والكتابة، والذي يستطيع أن يقرأ ويفهم مـا يقـرؤه» ثـم قـدّم الأسـتاذ نصائح وشروط القراءة من الكتب، منها:

---

[1] - مقدّمة تاريخ ابن خلدون (2/ 102)، وانظر فتح الباري (1/ 144-157) في كلامه على حـديث قـبض العلم بموت العلماء.

[2] - إضافة مهمّة لضبط الكلام.

[3] - عودة إلى السّنة، تأليف علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي (ص 53- 54).

1- عـدم اقتنـاء أيّ كتـاب، بـل عـلى الطالـب أن يتخـيّر ويقتـصر مـن الكتـب والمؤلّفات على ما كتبه العلماء المعروفون، والملتزمون بالكتاب والسّنة، كالأئمـة الأربعـة، وغيرهم من علماء المسلمين كالنووي، وابن تيمية، وابن القيّم، وابن كثـير، وغـيرهم مـن أئمة السلف قديمًا وحديثًا[1].

2- الابتعاد عن كتب أهل البدع والأهواء قديمًا وحديثًا.

قال الإمام مالك رحمه الله: «لا تأخذ العلم من أربعة وخذه مما سوى ذلك: مـن معلـن للسّفه وإن كان أروى الناس، ولا من كذّاب يكذب في حديث الناس وإنْ كنتَ لا تتهمـه بالكذب على رسول الله ﷺ، ولا من صاحب هوى يدعو إلى هواه، ولا من شيخ له فـضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدّث به».

وقال محمد بن سيرين رحمه الله: إن هذا العلم دين، فانظروا عن من تأخذون دينكم[2].

3- وعلى المسلم أن يعلم أن كلاًّ يؤخذ من قوله ويُـرَدّ مهـما كـان علمـه، ومهـما كانت مكانته وفضله إلاّ الرّسول ﷺ»اهـ[3].

وقال إبراهيم النخعي رحمه الله: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنـه، نظـروا إلى هديـه وسمته وصلاته، ثم أخذوا عنه[4].

---

[1] - **أقول**: ولا ينسى الطالب أن يتحرّى كتب المتقدمين من أهل العلم المراد، فإنهم أقعد به من المتـأخرين كـما قال الشاطبي في الموافقات (1/ 145 - 154) بتحقيق مشهور حسن.
كما يتحرّى الكتب التي حقّقت فيها الأحاديث والنّصوص في هذا العصر من قِبل بعض العلماء وطلاّب العلم الأقوياء كما عليه بالعناية بالكتب المشروحة في الأشرطة فهي مفيدة إن شاء الله تعالى.

[2] - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية في أصول علم الرواية (1/ 370/ برقم 1) وإسناده صـحيح كـما قـال محقّقه إبراهيم بن مصطفى الدمياطي. وانظر التفصيل في هذه المسألة في رسـالتي: الهدايـة إلى أنّ طلـب العلـم فرض عين ومنه فرض كفاية، فصل في حكم تلقّي العلم عن المبتدعة (ص 57- 75).

[3] - كتاب العلم- لأمين الحاج ص 113- 114 ببعض التصرف- وانظر رسالتي الهداية إلى أن طلـب العلـم فرض عين ومنه فرض كفاية- طرق طلب العلم.

[4] - التمهيد لابن عبد البرّ (1/ 39).

فائدة: قال الإمام ابن تيميّة رحمه الله في حكم تعذّر حصول النّور الـصّافي:«وقـد يتعـذّر أو يتعسّر عـلى الـسّالك سلوك الطريق المشروعة المحضة إلاّ بنوع من المحدث لعدم القائم بالطريق المشروعة علـمًا وعمـلاً، وإلاّ بقـي الإنسان في الظلمة، فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة، إلاّ إذا حصل نور لا ظلمـة فيـه،=

تنبيه: إنّ كون أخذ العلم من الكتب والأشرطة أمرًا خطيرًا، هو على شخص خالي الذهن، ويريد تعليم نفسه بمطالعة الكتب وسماع الأشرطة، أمّا من طلب العلم من أفواه أهل العلم وأسّس نفسه على ذلك، فلا مانع من الازدياد من العلم عن طريق الكتب والأشرطة لأنّ لديه مفاتيح الكتب والأشرطة والعلوم التي فيها.

وهذا البرنامج يفيد -إن شاء الله تعالى-:

من أراد التوسّع في العلم الشرعي بعد أن أسّس نفسه عن طريق العلماء، ويفيد من لم يكن كذلك واضطرّ إلى تأسيس نفسه عن طريق الكتب كما يفيد من أراد تكوين مكتبة في بيته لأولاده، أو خارج بيته للناس ليطالعوا ويتعلّموا[1].

أسأل الله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفعني وإخواني به في الدنيا والآخرة.

وإنّي أشكر كلّ من يقدم لي نصيحة ويصوبني فيما أكون قد أخطأت فيه، ورحم الله امرءا أهدى إليّ عيوبي، فقد قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن مرآة المؤمن»**[2].

=وإلاّ فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكليّة» اهـ مجموع الفتاوى (10/ 364)، وانظر كلامًا نفيسًا له في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 124- 133) بتحقيق وتعليق ناصر بن عبد الكريم العقل.
وقال ابن الجوزي رحمه الله مُوَجّهًا نهي الإمام أحمد، وغيره عن السّماع للقُصّاص، فقال ابن الجوزي: «وقد كان جماعةٌ من السّلف يرون تخليط القُصّاص، فينهون عن الحضور عندهم. وهذا على الإطلاق لا يحسن اليوم لأنه كان الناس في ذلك الزّمان متشاغلين بالعلم، فرأوا حضور القصص صادًّا لهم، واليوم كثر الإعراض عن العلم، فأنفع ما للعامّي مجلس الوَعظ، يَرُدّه عن ذنب، ويحرّكه إلى توبة، وإنما الخلل في القاصّ، فليتقّ الله عزّ وجلّ» اهـ صيد الخاطر (ص 85- 86) بتحقيق أبي عبد الرحمن محمد العلاّوي.
أقولُ: فليتّق الله أولئك الذين يفتون الشباب بتَرْك حلقة الشيخ فلان، وأشرطة الشيخ فلان، وكتب الشيخ فلان، هكذا بإطلاق، ثم لا يوجّهون الشباب توجيهًا صحيحًا، فيترك أولئك الشباب حلقات ودروس وأشرطة المحذر منهم، ويذهب الشباب إلى القيل والقال وإضاعة الأوقات في سيء الأعمال. وكان الواجب على هؤلاء المحذّرين أن يكونوا كالطبيب الحاذق الذي يعرف لكل شخص ما يناسبه، ولكلّ بلدٍ ما يوافقه. والله الهادي إلى صراطه المستقيم.

[1] - إنّي أنصح الأغنياء أن يعملوا على فتح المكتبات الخاصّة للمطالعة وخاصّة في الأحياء السكنية ابتغاء وجه الله، تكون لهم صدقة جارية، وخاصّة أن أكثر المسلمين لا يستطيعون توفير الكتب لغلاء المعيشة. فنحن أمّة العلم ولن تعود إلينا العزّة إلاّ إذا تعلّمنا ما ينفعنا وعملنا به، والله المستعان.

[2] - رواه أبو داود، وغيره. وهو حديث حسن كما في صحيح الجامع (6656).

الفصل الأوّل: نصائح للمتعلّم بين يدي الطّلب

اعلمْ رحمني الله وإيّاك أنه يجب على طالب العلم أن يحرص على:

1- **الإخلاص في عباداته** ومنها طلب العلم الشرعي ويحذر من الرياء والسمعة ومن قصد الدنيا بعمل الآخرة. فقد قال الله تعالى: **﴿وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حنفاء﴾**[البيّنة: 5].

وعن **أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله. ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»**[1].

وعن **أبيّ بن كعب** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«بشِّر هذه الأمّة بالسّناء، والرِّفعة والنّصر، والتّمكين في الأرض، فمن عمِل منهم عملَ الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب»**[2].

وعن **كعب بن مالك** ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من طلب العلم ليجاري به العلماء[3]، أو ليماري به السفهاء[4]، أو يصرف به وجوه الناس إليه[5]، أدخله الله النار»**[6].

---

1 - متفق عليه.

2 - رواه أحمد، وابن حبّان في صحيحه، والحاكم وغيرهم. وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (2825).

3 - يجاري به العلماء: أي يجري معهم في المناظرة والجدال ليُظهر علمه في الناس رياء وسمعة.

4 - أي ليجادل به الجهال.

5 - أي يطلب العلم بنية المال والجاه، وإقبال العامّة عليه. (انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري).

6 - رواه الترمذي، وابن ماجة. وهو حديث حسن كما في صحيح الجامع (382- 383).

كيف يكون الإخلاص في طلب العلم ؟

أجاب الإمام أحمد على هذا السؤال بقوله: «**الإخلاص فيه أن ينوي رفع الجهالة عن نفسه**» اهـ.

فاحرص يا أخي المسلم على الإخلاص ولا تطلب العلم الشرعي لنيل مرتبة دنيوية، أو جاه، أو سمعة، بل اقصد به التعبّد لله تعالى بأن تكون في حياتك موافقًا لما شرع الله تعالى في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ. وبالإخلاص يبارك الله للمسلم في علمه وعمله.

ما حكم من يطلب العلم الشّرعي والحصول على شهادة أوْ إجازة مدرسية بذلك؟

الجواب: على حسب نيّته! فإن كانت نيّته من طلب العلم الشرعي وجه الله تعالى وأن يرفع الجهالة عن نفسه، وما حصوله على الشهادة المدرسية إلاّ وسيلة ليتفرّغ لتكملة المعلومات ويُقوِّت نفسَه وأهله بالمعروف، فهذا جائز إن شاء الله تعالى خاصّة في زماننا هذا، حيث لا يقبل صاحب العلم للتدريس في مدرسة أو جامعة إلاّ إذا كان لديه شهادة أوْ إجازة مدرسية، فتفَرُّغُه للتدريس أفضل من ذهابه إلى مجال آخر للحصول على القوت كالتجارة ونحوها.

أمّا إن كان قصده من الشهادة المدرسية الدنيا فقط فهذا مذموم.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: «هنا فصل ينبغي مراعاته، وهو: من طلب العلم لينال به ما يقوم به، ويقوته بالمعروف وبأهله، ليتفرّغ بذلك المعلوم لتكملة المعارف، وليتوفّر على العلم، فهذا قد يباح -إن شاء الله- لمن حسُنَتْ نيّته، وغلبتْ عليه محبّة العلم النّافع لذاته، فإنّ العلم قد يُحَبّ محبّة لا توصف، مع قطع نظر محبّ العلم عن الرّياسة والمال، ومثل هذا يُرجَى له أن يؤول علمه إلى الخير والنّفع به. كما قال مجاهد -وغير واحد-:

طلبنا العلم وما لنا فيه نيّة، ثم رزق الله النيّة بعد. أي طلبوه بلا نيّة دينية ولا دنيوية، بل محبّة في العلم، إذِ الجهل تأباه النفوس الزّكية والفِطَر الذّكية. ويليه رجُلٌ طلب العلم محبّة فيه، ممزوجة بشهوة رياسة، ونيّته حسنة، لا يُنافس في طلب المدارس، ويقنع بما قُدِّر له، فإن جاءه رزق وولاية فرح بها لشدّة فاقته، وليتوسّع من الدنيا، ويعمل غالبًا بما ينبغي، ويستغفر الله من تقصيره، فهذا داخل في قوله: ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا**

عملاً صالحًا وآخرَ سيّئًا عسى اللهُ أن يتوبَ عليهم﴾[التوبة:102]. اللهم فتبْ على حملة العلم، واغفر لهم»اهـ[1].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «رأيتُ أكثر العلماء يتشاغلون بصورة العلم: فَهَمُّ الفقيه التدريس، وهَمُّ الواعظ الوعظ، فهذا يُراعِي درسه فيفرح بكثرة من يسمعه، ويقدح في كلام من يخالفه، ويمضي زمانه في التفكّر في المناقضات، ليقهر من يجادله! وعينه إلى التصدّر والارتفاع في المجالس، وربما كانت همّته جمع الحطام، ومخالطة السّلاطين. والواعظ همّته ما يزوّق به كلامه، ويكثر جمعه، ويجلب به قلوب الناس إلى تعظيمه، فإن كان له نظير في شغله أخذَ يطعن فيه، وهذه قلوب غافلة عن الله عزّ وجلّ، إذ لو كانت لها به معرفة لاشتغلت به، وكان أنسها بمناجاته، وإيثارها لطاعته»اهـ[2].

تنبيه: يا طالب العلم، حذار من ترك العلم لعدم صفاء النية في البداية، بل اطلب العلم لأنه سيصحّح لك نيتك إن شاء الله بسبب ما تقرؤه من آيات كريمة، وأحاديث شريفة تحثّ على الإخلاص وتحذر من الشرك والرّياء.

قال بعض العلماء رحمهم الله: «طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلاّ لله»[3].

وأَدِمِ الالتجاء إلى الله تعالى والتضرّع إليه سبحانه. قال تعالى:﴿**ففرّوا إلى الله إنّي لكم منه نذير مبين**﴾[الذّاريات:50]. وجاهد نفسك على ذلك فإن الله سيهديك إلى الصراط المستقيم. قال تعالى:﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبُلَنا وإنّ الله لمع المحسنين**﴾[العنكبوت:69]. وليفعل ذلك بصدق، فإن صدق القلب سبب للنجاة، قال تعالى:﴿**يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلمِ اللهُ في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أُخِذَ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم**﴾[الأنفال:70]. وقال تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[التوبة:119].

---

[1] – مسائل في طلب العلم وأقسامه للحافظ الذهبي بتحقيق عمرو عبد المنعم (ص 40- 41).

[2] – صيد الخاطر، لعبد الرحمن بن الجوزي، بتحقيق أبي عبد الرحمن محمد العلاّوي (ص 320).

[3] – رواه الدّارمي في سننه بمعناه عن مجاهد برقم (359) وعن الحسن البصري بمعناه أيضًا برقم (360).

وقال رسولُ الله ﷺ: «**عليكم بالصّدق، فإنّ الصّدقَ يهدي إلى البِرّ، وإنّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يُكتب عند الله صِدّيقًا.....**» الحديث[1]. وعليه أن يكثر من الدعاء المُذْهب لصغار الشرك وكباره.

فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلّك على شيء إذا فعلتَه أذهب عنك صغارَ الشرك وكبارَه، تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**»[2].

وممّا يساعد على الإخلاص:

أ- أن يتذكّر المسلم أن الناس لن ينفعوه بشيء إلاّ بإذن الله بل هم فقراء وضعفاء، فلا يلتفت إليهم.

فعن أبي سعيد بن أبي فَضالة -وكان من الصحابة- قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه، نادى منادٍ: من كان أشرك في عمله لله أحدًا فليطلب ثوابَه من عنده، فإن اللهَ أغنى الشركاء عن الشرك»[3].

ب- أن يعلم أن الله مطلع عليه وأنه يعلم ما في الصدور فيراقبه.

قال تعالى: ﴿**واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم**﴾[البقرة: 235].

ج- أن يتذكّر عقوبة من لم يخلص. قال تعالى: ﴿**مَن كان يريد الحياة الدنيا وزينتَها نوفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيها لا يُبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النار وحبط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون**﴾[هود: 15- 16].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ أوّل الناس يُقضى يوم القيامة عليه...**» الحديث.

---

[1] - رواه أحمد، ومسلم.

[2] - رواه البخاري في الأدب المفرد، والحكيم التّرمذي وغيرهما. وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (3731)، وانظر السّلسلة الضعيفة (3755)، وصحيح الأدب المفرد برقم (716).

[3] - رواه التّرمذي، وقال حديث حسن، وابن ماجة، وغيرهما وهو حديث حسن كما في صحيح التّرغيب برقم (33).

وذكر منهم من تعلّم العلم، وقرأ القرآنَ ليقال له عالم، وقارئ، قال: «فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحب على وجهه حتى ألقيَ في النار» الحديث[1].

د- أن يتذكّر المسلم كيف كان السّلف يحاسبون أنفسهم خاصّة على الإخلاص، فيقتدي بهم.

هـ- أن يكثر الدّعاء بالعلم النّافع. قال الله تعالى: ﴿وقل ربّ زدني علمًا﴾[طه:114].

وقال رسولُ الله ﷺ: «سلوا اللهَ علمًا نافعًا، وتعوّذوا بالله من علم لا ينفع»[2].

وقال أبو بكر محمد بن جعفر: سمعت ابن خزيمة وسئلَ: من أين أوتيتَ هذا العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شُرِبَ له»[3]. وإنّي لمّا شربتُ ماء زمزم سألتُ اللهَ علمًا نافعًا»اهـ[4].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وأنا شربته (يعني زمزم) مرّة، وسألتُ اللهَ وأنا حينئذ في بداية طلب الحديث أن يرزقني حالة الذهبي في حفظ الحديث، ثم حججتُ بعد مدّة تقرب من عشرين سَنَة وأنا أجد من نفسي المزيد على تلك المرتبة، فسألته رتبة أعلى منها فأرجو الله أن أنال ذلك»اهـ[5].

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله[6]: «الأمرُ أنّ العبدَ مفتقر إلى ما يسأله من العلم والهدى، طالب سائل، فبذكر الله والافتقار إليه يهديه الله ويدلّه، كما قال: «يا عبادي كلُّكم ضالّ إلاّ من هديته، فاستهدوني أهدِكم»[7].

---

[1] - رواه مسلم، والترمذي وحسّنه، والنسائي، وغيرهم.

[2] - رواه ابن ماجة، وغيره. وهو حديث صحيح كما في الصحيحة (1511).

[3] - رواه أحمد، وابن ماجة، وابن أبي شيبة، وغيرهم. وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (5502).

[4] - تذكرة الحفّاظ (2/ 721) بواسطة النّبذ في آداب طلب العلم، تأليف حمد بن إبراهيم العثمان (ص 127).

[5] - جزء حديث (ماء زمزم لما شرب له) (ص 191- 192) بواسطة النّبذ (ص 128).

[6] - مجموع الفتاوى (4/ 39).

[7] - رواه مسلم.

وكما كان النبيّ ﷺ يقول: «**اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادِك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحقّ بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[1].

2- **المتابعةُ للرسول ﷺ**، وهذا هو الشرط الثاني لقبول العبادة ومنها طلب العلم الشرعي. قال الله تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبّون اللهَ فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبَكم**﴾[آل عمران:31].

وقال تعالى: ﴿**مَن يُطِعِ الرسولَ فقد أطاع الله**﴾[النساء:80]، وقال تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[الحشر:7]، وقال تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا اللهَ واليوم الآخِر وذكر اللهَ كثيرًا**﴾[الأحزاب:21]، وقال تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى**﴾[النّجم:3- 4].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**»[2]. وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردّ**»[3].

ومعنى رَدّ: مردود على صاحبه، وهو عمل باطل.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**كلّ أمتي يدخلون الجنة إلاّ من أبى**» قيل: ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: «**مَن أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[4].

فاحذرْ -يا أخي المسلم- من البدعة والابتداع، والزم الكتاب والسّنة بفهم سلف الأمة، واجتنب الرأي المخالف للسّنة، واحذر معارضة النقل بالعقل، فأهل السنة يعلمون أنّ العقلَ الصريح لا يعارض النقل الصحيح، وأن ما كان عكس ذلك فهو إمّا عقل غير صريح أو نقل غير صحيح[5].

---

[1] - رواه مسلم.

[2] - متّفق عليه.

[3] - رواه مسلم.

[4] - رواه البخاري.

[5] - انظر منهاج السّنة لابن تيمية (5/ 441- 442)، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (ص 111)، والنّبذ (ص 64).

وتكون المتابعة في طلب العلم بأن لا تتعلّم ما نهى الله ورسوله ﷺ عنه، فيجتنب المسلم تعلّم السحر، والتنجيم، والكهانة، والموسيقى وغير ذلك من العلوم المحرّمة.

3- **الاهتمام بالتحلّي بالأخلاق الحسنة، وتطهير النّفس من الأخلاق السّيئة** فقد كان السلف الصالح يهتمون بتزكية النفوس علمًا وعملاً.

قال الله تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلُقٍ عظيم**﴾[القلم:4].

وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنّة؟ فقال: «**تقوى الله وحسن الخلُق**»، وسئل عن أكثر ما يُدخِل الناسَ النار ؟ فقال: «**الفم والفرج**»[1].

وعن **أبي الدّرداء** رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**ما من شيء يوضع في الميزان أثقلُ من حسن الخُلُق، وإنّ صاحبَ حسن الخُلق ليبلغ به درجةَ صاحب الصوم والصلاة**»[2].

ووصف عبد الله بن المبارك حسنَ الخلق فقال: هو بَسْطُ الوجه وبذل المعروف، وكفّ الأذى[3].

فعليك تجنُّبَ الشرك، والرياء، والنفاق، والكذب، والحسد، والتّباغض، والبدعة، والآثام، والفخر، والتكبّر، والعُجْب، والخيانة، والغدر، والدّغل، والاغتيال، والفواحش، والقبائح، والبهتان، والنميمة، والغيبة، إلاّ لمن أظهر بدعة وهوى يدعو إليهما فالتحذير منه ليس بغيبة. وعليك بالتحلّي بالتواضع، والرجوع دائمًا إلى الحق، وبالصمت عن ما ليس بخير، وعليك بالمسارعة إلى إقامة الصلوات المكتوبة في أوقاتها، وبالإحسان إلى الوالدين، وبصلة الأرحام، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والصغار والأيتام، ومواساة الضعفاء، والتورّع في المأكل والمشرب والمنكح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واحترام الكبير والعالم، وغضّ الطّرف عن المحرمات، والصفح عن زلل الإخوان، وبالصبر عند البلاء، والشكر عند الرّخاء،

---

1 - رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح غريب.

2 - رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، واللفظ له. وهو حديث صحيح كما في الصحيحة (876).

3 - رواه الترمذي، وقال الألباني صحيح الإسناد.

والرّضا بمرّ القضاء، وبكثرة قراءة القرآن الكريم، والإكثار من ذكر الله، والتهجد لقيام الليل لا سيما لحملة القرآن، وترك ما لا يعنيك، وادع الله أن يجنبك منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو الله ويقول: «**اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء والأعمال**»[1].

4- **العناية بالسّمت الصالح والهدي الصالح والتحلّي بهيئة أهل الخير** من دوام السكينة، والوقار، والخشوع، وترك التماوت والخمول، والابتعاد عن كثرة المزاح، واعتنِ -رحمك الله- بالحلية في الظاهر فقد قيل: الحليةُ في الظاهر تدلّ على ميل في الباطن، فاحذرْ التشبّه بالكفّار في لباسك وهيئتك، وخالِفْ أعداء الله فيهما وفيما استطعت من شؤونك.

قال الله تعالى: ﴿**ولئن اتّبعت أهواءَهم من بعدِ ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين**﴾[البقرة: 145].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَن تشبّه بقوم فهو منهم**»[2]، وقال رسول الله ﷺ: «**خالفوا المشركين أحفوا الشّوارب وأوفروا اللِّحى**»[3]. وقال ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»[4]. وقال ﷺ: «**خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم**»[5].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين»[6] فقال: «**إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها**»[7].

---

[1] - رواه أحمد، وابن أبي عاصم.

[2] - رواه أحمد، وأبو داود، وغيرهما. وهو حديث صحيح كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني (5/ 109/ برقم 1269).

[3] - متفق عليه.

[4] - متفق عليه.

[5] - رواه أبو داود، وغيره. وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (3205).

[6] - معصفرين: مصبوغين بعصفر، والعصفر: نبات تُصبغ به الثياب.

[7] -رواه مسلم وغيره.

وعن **أنس بن مالك** ﷺ قال:«...فقالت اليهود: ما يريد هـذا الرجـل أن لا يـدع شيئا من أمرنا إلاّ خالَفَنا فيه»[1].

اعلمْ –يا أخي المسلم– أن أصل مسألة ترك التشبّه بالكفّار مأخوذة مـن الكتـاب والسنة وهدي السّلف الصالح، وهي من أصول عقيدة السلف في القرون الثلاثة المفضلة، ولكن بعد هذه القرون نسي كثير من المسلمين هذا الأصل. ولذلك وُجِدَ من بين المسلمين من يجادل في هذا الأصل، ولا يرى حاجة إلى تميّز المسلم عـن الكفّـار في لباسـه وهيئتـه. ويقـول بعـض هـؤلاء: العـبرة بالبـاطن لا بالظـاهر، ويـستدلّ عـلى ذلـك بقـول النبـي ﷺ:**«التقـوى هاهنـا، ويـشير ﷺ إلى صـدره»**[2]. وبقولـه ﷺ:**«ألاَ وإن في الجـسد مـضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فـسد الجـسد كلّـه، ألا وهـي القلـب»**[3]. وبقولـه ﷺ:**«إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**[4].

وبقول الحسن البصري رحمه الله:«ليس الإيمان بالتمنّي ولا بالتحلّي، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدَّقه العمل».

والجوابُ على هذا هـو: إنّ قـولَ الرسـول ﷺ حـقّ ولكـنكم جعلتمـوه مناقـضًا للأحاديث الآمرة بالهدي الصالح، والسّمت الصالح، وهذا خطأ كبير منكم، لأننا نقـول: إن الذي قال:«التقوى هاهنا» وما بعده من الأحاديث هو الذي قال:«من تشبّه بقـوم فهـو منهم». وهو نفسه الذي أمرنا بمخالفة الكفّار. فلا تنـاقض في كتـاب الله ولا في أحاديـث

---

[1] – رواه مسلم وغيره.

[2] – رواه مسلم.

[3] – متفق عليه.

[4] – رواه مسلم.

تحذير: لقد وقع سقط خطير من هذا الحديث في كثير مـن طبعـات ريـاض الـصالحين حيـث سـقطت كلمـة «أعمالكم» فصار الحديث هكذا «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» بدون كلمة «وأعمالكم» والواقع أنها موجودة في الحديث في صحيح مسلم وغيره، وهـي كلمـة مهمّـة جـدًا يـؤدّي عدمها إلى فهمٍ فاسد وقع فيه كثير من الذين لا يهتمّون بالسّمت الصالح، والهيئة الحسنة. وانظر مقدّمة الشيخ الألباني في تحقيقه لرياض الصالحين (ص 14). جزاه الله خيرًا.

رسول الله ﷺ، لأن كل ذلك وحيٌ من الله تعالى. قال سبحانه:﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى**﴾[النجم:4]، وقال تعالى:﴿**من يطع الرسولَ فقد أطاع الله**﴾[النساء:80]، وقال تعالى:﴿**وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[الحشر:7].

فالواجب على المسلم أن يضع كل نصٍّ من نصوص الوحي في محلّه.

أمّا معنى حديث "**التقوى هاهنا**" فهو أن أصل التقوى في القلب فلا يطلع أحد على حقيقتها إلا الله تعالى. فمن القلب تنبعث الأعمال، والهدي الصالح عَمَل، ومخالفة الكفار عَمَل، فإذا صلح القلب ظهر الصلاح على الجسد بالأعمال الصالحة، وإن الله تعالى ينظر إلى القلوب وإلى الأعمال.

وقول الحسن البصري رحمه الله يوافق هذا فالإيمان في القلب وفي الأعمال، فتوفير اللّحى -مثلاً- من الأعمال الصالحة، وهي من التقوى، صحيح أن توفير اللّحى ليس كلّ الإسلام، لكنها من الإسلام ومن الإيمان، وهكذا الأخلاق الحسنة، والهيئة الحسنة، والتميّز عن الكافرين في ذلك من الإيمان، لأن الأعمالَ الصالحة من الإيمان.

ويقول بعض هؤلاء الصّادّين عن الهدي الصالح: إنّ المسلمين يُضطهدون في كثير من الأمكنة، وإنّ الإسلام يتعرّض لهجمات وتشويهات، وأنتم تهتمّون باللّحية، واللباس، وتحريك الأصبع في التشهد، إلخ...

والجواب: أن يقال لهم: إنّ المسلمين يُضطهدون في كثير من الأمكنة، و...إلخ. وأنتم تقيمون المسرحيات، وأنتم تذهبون إلى الرحلات، وأنتم تذهبون إلى أعمالكم ووظائفكم، وأنتم تأكلون الطعام، وتنامون مستريحين، وتلبسون الملابس المكويّة، إلخ...، فلماذا لا تذكرون اضطهاد المسلمين إلاّ إذا أمركم إخوانكم بالتمسك بالهدي الصالح، والسّمت الصالح ؟ ويقال لكم: ها أنتم تركتم كلّ ذلك، وتتبعتم الأخبار والنشرات، فماذا فعلتم لرفع الاضطهاد عن المسلمين ؟ ألا تعلمون أنّ التمسّك بالسّنن والواجبات هو سبيل النصر، وقد قال الله تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السِّلم كافّة ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين**﴾[البقرة:208]. أي ادخلوا في جميع شرائع الدّين،

ولا تتركوا منها شيئًا، وافعلوا ما تقدرون عليه من أفعال الخير، وأمّا ما عجزتم عنه فانوُوه حتى تدركوا الأجرَ بالنية[1].

ثم إنه لا منافاة بين الاهتمام بالهدي الصالح، وبين الاهتمام بشؤون المسلمين. ولا ننسى أن نـذكِّرَ إخواننا المسلمين أنّ الواجبات قسمان: واجبات نستطيع القيام بها، وواجبات غير مستطاعة لنا، فلماذا نترك ما نستطيع فعله بدعوى الاهتمام بالواجبات الأخرى وهي غير مستطاعة لنا، فنخسر القسمين معًا ؟ هذا من مداخل الشيطان على الإنسان ليصرفه عن الخير. ولذلك ختم الله تعالى الآية بقوله:﴿**ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين**﴾، وهذا من إعجاز القرآن، فكأنّ هذه الآية نزلت الآن لتداوي غفلة الذين يصدّون عن الخير.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السّعدي رحمه الله:

«[لو فعل الناس] ما وظِّف عليهم في كل وقت بحسبه، فبذلوا هممهم، ووفّروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا، حتى يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدّين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط»اهـ[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:«واعلموا أنّ حسن الهدي في آخر الزمان خير من بعض العمل»[3].

ويقال لهم أيضًا: إنّ التمسك بالسّنن والإكثار من أعمال الخير –ومنها السّمت الصالح– هو من أسباب تثبيت المؤمن، وهدايته، وحصوله على الأجر العظيم، والدّليل

---

[1] – انظر تفسير ابن كثير، وتفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السّعدي في تفسير تلك الآية [208 من سورة البقرة].

[2] – تيسير الكريم الرحمن (ص 185).

[3] – قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في فتح الباري (10/ 419):«رواه البخاري في الأدب المفرد، وسنده صحيح. ومثله لا يُقال من قِبَل الرّأي فكأنّ ابن مسعود لأجل هذا كان يحرص على حسن الهدي»اهـ.

هو قول الله تعالى: ﴿**ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشدّ تثبيتًا**﴾ النساء:66

والهديُ الصالح، والسّمت الصالح، وهيئة أهل الإسلام مما وُعِظنا به، فإذا فعلناه كان خيرًا لنا، وأشدّ تثبيتًا في الحياة الدنيا عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، وتثبيتًا في الآخرة، وأجرًا عظيمًا، وهداية إلى الصراط المستقيم.

ويقال لهؤلاء الصّادّين: ينبغي على المسلم بأخلاقه الحسنة، وهيئته، ولباسه أن يذكِّر الناس بالله وبالإسلام. فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في قوله: ﴿**ألا إنّ أولياءَ الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[يونس:62]، قال: «هم الذين يُذكَرُ اللهُ لرؤيتهم»[1].

ومن أخطر ما يخافه المؤمن على نفسه النفاق وأخلاق المنافقين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خصلتان لا تجتمعان في منافق: حُسْنُ سمت، ولا فقهٌ في الدّين**»[2].

فعلى المسلمين عامّة، وعلى طلاّب العلم خاصّة أن يصبروا على التمسّك بالدّين الصحيح وخاصّة زمن الغربة. فقد قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: مَن هم يا رسول الله ؟ قال: الذين يَصلُحون إذا فسد الناس**»[3].

---

[1] – رواه ابن المبارك في الزّهد، وابن صاعد في زوائد الزّهد، وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (2584) والصحيحة (1646).

[2] – رواه الترمذي، وقال هذا حديث غريب، أي ضعيف من أجل خلف بن أيوب العامري.

قلتُ: لكن جاء هذا الحديث من طريقين آخرين: أحدهما: عن أنس، والآخر عن عبد الله بن سلام عند ابن المبارك في الزّهد، ومن طريقين آخرين عند القضاعي في مسند الشهاب. قال الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (1/ 564): «وبالجملة، فالحديث عندي صحيح بمجموع هذه الطرق، وقد أشار إلى صحته عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الكبرى (رقم 63- نسختي) بسكوته عنه كما نصّ عليه في المقدمة، والله أعلم» اهـ. ثم ذكر في الاستدراك (ص359) أنّ خلف العامري وسط فيكون حسن الحديث، وذكر كلام الذهبي في السّير (9/ 541) ما يؤيد رأيه فيه. والله الموفق.

[3] – رواه أبو عمرو الدّاني، وغيره. وهو حديث صحيح كما في الصّحيحة (1273).

ولو فرض أن تهاونَ أغلب المسلمين في الاهتمام بالسّمت الصّالح، والهدي الصّالح !! فلا بدّ لطالب العلم الشّرعي من التميّز عنْ عامّة النّاس في سمته، وعباداته، وصفة مشيه، وكلامه، وغير ذلك بما يوافق السنّة.

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله -في صفة طالب العلم-:«يتجنّب مجالس أهل الغفلة، ويعادي مجالس الغيبة، وساقط الكلام، ويحفظ لسانه ممّا لا يعنيه...وأكبر علامات ذلك أن يكون لصاحبه حال يتميّز به عن الناس حتى يشهد حاله ويتميّز لانفراده عن الناس إلاّ من دخل معه في طريقه. أمّا إذا تسمّى الإنسان بالقراءة، فإذا تأمّلت حاله إذا له مثل أهل بلاده، وليس فيه خاصّة من أهل سوقه، فحاله عند الصلوات الخمس والرّواتب مثل حالهم، ولا له محافظة على ذلك، قد نام جميع ليله، وضيّع جميع نهاره، وصار له مع كل الناس مخالطة، وليس هناك إلاّ أنه بعض الأوقات يأخذ الكتاب، ويقرأ في المجلس، فلو سألته عن بابه الذي هو فيه ما عرفه، ولو طلبت منه فسألته عمّا يقرأ لم يجبك عنها. وربع ريال أحبّ عنده من كتابين قد خلا من المسجد، وامتلأت منه مجالس الغفلة، وعطل لسانه من الذّكر، وَسَلَّهُ في الخوض في أحوال الناس، وما جرى بينهم، وتعرف على دنياهم، فهذا عن العلم النّافع بعيد ولا يستفيد، ومن حكم الرّب سبحانه أن مثل هذا لا يوفّق»اهـ[1].

---

[1] - هداية الطّريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق (ص 222- 223)، بواسطة النّبذ (ص 197).

تنبيه: كون طالب العلم يتميّز عن عامّة الناس في سمته، وعباداته، وأخلاقه، لا يعني انعزاله عن المجتمع، بل يخالطهم ويزورهم لكن يؤثّر فيهم بالخير ولا يتأثّر بشرورهم. بمعنى أنه لا يشاركهم في المنكرات ولا يزورهم في أثناء تلبسهم بها، ولا يتخذهم أخلاّء يماشيهم، ويعرفون أسراره، بل يخالطهم بقدَر. ولهذا قال رسول الله ﷺ:**«المؤمنُ الذي يخالط الناسَ ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»** رواه أحمد، والترمذي، وغيرهما. وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (6651).

وأمّا ما نشاهده من كثيرٍ من الشباب المستقيم (الملتزم) في بلادنا وفي غيرها، من الانعزال عن المجتمع، بل حتى عن أرحامهم، فلا يزورونهم، ولا يجلسون معهم، بحجّة أنّ بنتَ الخال، أو بنت العمّ، متبرّجة، وأنّ في بيوتهم المنكرات، فهذا الانعزال خطأ، وفيه تسليم هؤلاء العصاة للشيطان، وعونًا له عليهم، فإذا انعزلَ أهل الخير عن أرحامهم، وجيرانهم، وأهل حيّهم، وكانت الجريدة، ووسائل الإعلام، والمدرسة، بل حتى كثير من المساجد لا تُعَلِّمُ الدّين إلاّ قليلاً، فمتى يتعلّم الجاهلون، ومتى يتنبّه الغافلون ؟! فالمنهجُ الصحيحُ هو أن لا ينعزل الصالحون عن مجتمعهم وخاصّة في هذا الزّمان، بل يزورُ المسلم أقاربه ولو كان هناك منهم نساء متبرّجات، فيدعوهم إلى الخير ويعظهم ويرشدهم بدون أن يخالف الشريعة فلا يخلو بامرأة ليس هو بمحرم=

5- **التفرّغ لطلب العلم**: فمَن أراد تحصيل العلم والنّبوغ فيه، وإتقان الأصول والفروع فعليه بالتفرّغ لطلب العلم، أمّا من أعطى العلوم فضلة وقته فإنه ينال من العلوم بقدر ما أعطى من وقته»[1].

6- **الحذر من ترك التكسّب، والاحتراف الذي قد يؤدّي إلى سؤال الناس، أو** تضييع العيال، وهذا إثم عظيم. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى اللهَ تعالى وليس في وجهه مزعة لحم**»[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيّع من يَقوت**»[3].

=لها، ولا يصافحها، ولا يشاركهم في منكر، وليصبر وليحتسب، وإذا اضطُرّ إلى دفع منكر أكبر بمنكر أصغر فلا مانع، قال الله تعالى: ﴿**فاتّقوا اللهَ ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرًا لأنفسكم ومن يُوقَ شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾[التّغابن: 16].

أذكر أنّ أحَدَ الشبابِ لمّا تزوّج جعلَ للوليمة يومًا للملتحين، ويومًا لغير الملتحين !!، وآخر جعل غرفة يجلس فيها الملتحون، وأخرى لغير الملتحين !! وهذا خطأ، بل لا بدّ من خلط الناس في مثل هذه المناسبات ليتأثّر الغافل بالذّاكر، ويتعلّم العاصي من الصالح. هذا منهج المستقيمين مع المجتمع عمومًا. لكن هذا لا يعني ذوبان الطّائعين في العاصين، وإنما المطلوب المخالطة بقدر الحاجة مع التّأثير بالخير والصبر على ذلك، أمّا كثرة المخالطة، والذهاب إلى المخيّمات، وقضاء الأوقات، فلا يكون إلاّ مع الصالحين، وهذا هو معنى قول الرسول ﷺ: «لا تصاحبْ إلاّ مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلاّ تقيّ» رواه أحمد، وأبو داود، وغيرهما. وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (7342). أي المصاحبة والمخالطة لا تكون إلاّ مع المؤمن، ولا يتردّد على بيتك ولا يأكل طعامك إلاّ التقيّ. وأمّا غيرهما فتخالطهم ويخالطونك بقدَر، بدون مصاحبة ولا مُشاكلة، ولا خلّة. قال الله تعالى: ﴿**الأخلاّءُ يومئذ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلاّ المتّقين**﴾[الزّخرف: 67]. وقال رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليلِه فلينظر أحدكم من يخالل» رواه أبو داود، والترمذي. وهو حديث حسن كما في صحيح الجامع (3545). وقال ﷺ: «مثلُ الجليس الصّالح والسَّوْءِ كحامل المسك ونافخ الكِير، فحامل المسك: إمّا أن يحذيك، وإمّا أن تجد منه ريحًا طيّبة، ونافخ الكير: إمّا أن يحرقَ ثيابك، وإمّا أن تجد ريحًا خبيثةً» رواه البخاري، ومسلم. ويُقال في المثل: الصّاحب ساحب. والله الموفّق.

[1] – النّبذ في آداب طلب العلم، تأليف حمد بن إبراهيم العثمان جزاه الله خيرًا، وقد استفدت كثيرًا من كتابه.

[2] – متفق عليه. ومعنى مزعة لحم: قطعة لحم.

[3] – رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم. وهو حديث حسن كما في صحيح الجامع (4481).

قال بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله تعالى: «وقد كان العلماء يلقّنون طلاّبهم حفظ قصيدة الجرجاني علي بن عبد العزيز (متوفّى سنة 392 هـ) رحمه الله، كما نجدها عند عدد من مترجميه، ومطلعها:

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما * رأوا رجُلاً عن موضع الذلّ أحجما**

أرى الناس من دانهم هان عندهم * ومن أكرمَتْهُ عـزّة النفس أُكرما**

ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظّموه في النفوس لعظّما»**[1]

وقيل للحسن البصري رحمه الله: أنتَ مُتكبّر! قال: لا، أنا لستُ متكبّرًا، بل أنا عزيز.

تنبيه: يريد بعض طلبة العلم التفرّغ للعلم، وليس له مصدر رزق، فيبقى عالة على الناس، وربّما غضب من الأغنياء الذين لم يبذلوا له المال، والصواب أنّ تفريغ الطلاّب إنما يكون من وُلاَةِ الأمور الذين يخصّصون منحًا لطلاّب العلم، أو جمعية خيرية غير بدعية. فإن لم يكن ذلك فعلى طالب العلم أن يجمع بين الطّلب وكسب الرزق، وليحذر الخمول، والكسل، وسؤال الناس[2].

---

[1] - حلية طالب العلم (ص 53).

[2] - من الظواهر المتفشية في بلادنا الاغتراب وترك البلاد بسبب سوء الأحوال الاقتصادية، وانتشار البطالة، وغلاء المعيشة. فتجد الشاب -مستقيمًا كان أم غير مستقيم- يسعى إلى الهجرة، ويغلّف المستقيم عمله هذا بطلب العلم الشرعي، وقد رأينا كثيرًا من هؤلاء وسمعنا عنهم: أنهم ليسوا أهلاً لطلب العلم، لعدم توفّر الشروط من النباهة، والذكاء، والحرص، والنفقة، إلخ...، فتجدهم ينامون ويكسلون، ولا يكتسبون، ويجرون هنالك خلف الصدقات والهبات !! إلاّ من رحم ربّي وقليل ما هم. فعلى المسلم أن يطلب العلم الموجود في بلده أوّلاً من الفرض العيني وغيره، ثم إنِ احتاج إلى الرحلة فليعد لها عدتها من النفقة أو إمكانية الكسب، أو الحصول على منحة من ولاة الأمر هناك أو من جمعية خيرية غير بدعية لا تَمُنُّ عليه، ويعيش هناك بأوراق رسمية.

فإن تعذّر ذلك، فليبق في بلده وَلْيَقُمْ بما فُرض عليه من طلب العلم، وكسب المعيشة -وليبتعد عن المغامرة بالابتعاد عن وطنه خاصّة في هذه الأيام التي كثرت فيها الفتن، والمشكلات، والهجمات على الإسلام والمسلمين. هذا في مسألة طلب العلم الشرعي، أمّا في مسألة طلب الرزق، فليطلبه المسلم في بلده، فإن تعذّر فلينتقل إلى بلدة أخرى داخل دولته، فإن تعذّر فلا بأس من السفر إلى بلاد إسلامية أخرى موفّرة فيها الشروط السابقة. وليحذر السفر إلى بلاد الكفّار كأوروبا وأمريكا ونحوهما. قال الله تعالى: **﴿وتزوّدوا فإنّ خيرَ الزّاد التقوى﴾**[البقرة:197].
=

7- إصلاح اللسان بتعلّم اللغة العربية، لأنها الوسيلة والماعون لمعرفة دين الإسلام وفهمه[1]. وذلك لأنّ القرآن الكريم نزل بها. قال تعالى: ﴿**كتاب فصّلت آياته قرآنا عربيًّا لقوم يعلمون**﴾ فصّلت:3]، وقال تعالى: ﴿**نزل به الرّوحُ الأمينُ على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين**﴾ الشعراء ، وقال تعالى: ﴿**إنّا أنزلناه قرآنا عربيّا لعلّكم تعقلون**﴾[يوسف:3].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «فعلى كلّ مسلم أن يتعلّم من لسان العرب ما بلغه جَهْده، حتى يشهد به أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمدًا عبده ورسوله، ويتلوَ به كتاب الله، وينطق بالذّكر فيما افتُرض عليه من التكبير، وأُمِر به من التسبيح، والتشهّد، وغير ذلك.....كما عليه أن يتعلّم الصلاةَ والذّكرَ فيها»اهـ[2].

وقال أيضًا: «ومن عَلِمَه انتفت عنه الشُّبَه التي دخلت على من جهل لسانها»اهـ[3].

=قال الخطيب البغدادي رحمه الله: «والطّلب المفروض على كل مسلم إنما هو طلب العلم الذي لا يسع جهله، فتجوز الرحلة بغير إذن الأبوين، إذا لم يكن ببلد الطّالب من يعرّفه واجبات الأحكام وشرائع الإسلام، فأمّا إذا كان قد عرف علم المفترض عليه فتكره له الرحلة إلاّ بإذن أبويه» اهـ الجامع لأخلاق الرّاوي (2/ 228) نقلاً عن النّبذ (ص 35).

تنبيه: يظنّ كثيرٌ من الشباب المستقيم في بلادنا الجزائر أنّ طلب العلم الشرعي فرض عين كلّه، فتراهم يسعون إلى ذلك ويترك بعضهم أعماله ووظائفه. وتخصّصات أخرى نافعة للأمّة، والصّواب أنّ طلب العلم الشرعي منه فرض عين ومنه فرض كفاية. (انظر رسالتي: الهداية). وأنّ فرض الكفاية منه (وهو التخصّص في علوم الشريعة) ليس على كلّ أحد، بل مَن توفّرت فيه شروط مهمة وصفات حميدة كالنجابة، والذّكاء، والفهم، وصفاء النفس، وعلوّ الهمة، وصحبة أستاذ، وغير ذلك. وأمّا غيره فلا يُتعِبْ نفسَه ولا غيره. بل عليه بما فرض عليه من العلم الشرعي. وليتخصص فيما ينفعه وينفع الأمّة مما يجوز شرعًا من العلوم والأعمال بشرط أن يكون على بصيرة في دينه، والله الموفّق.

[1] – كتاب العلم لأمين الحاج (ص 43) باختصار.

2 و 3: الرسالة للشافعي، بتحقيق أحمد شاكر برقم: 167- 168- 169.

وقال الحافظ عبد الملك بن قُريب الأصمعي رحمه الله: «إنّ أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحوَ أن يدخل في جملة قوله عليه السلام: "**مَن كذب عليَّ فليتبوّأ مقعدَه من النار**"»[1].

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «فإن الله لمّا أنزل كتابه باللسان العربي، وجَعَلَ رسولَه مبلِّغًا عن الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعلَ السابقين إلى هذا الدّين متكلّمين به، لم يكن سبيل إلى ضبط الدّين ومعرفته إلاّ بضبط هذا اللّسان، وصارت معرفته من الدّين»اهـ[2].

وقال أيضًا: «فإن نفس اللّغة العربية من الدّين، ومعرفتها فرض واجب، فإنّ فهمَ الكتاب والسنّة فرض، ولا يفهم إلاّ بفهم اللّغة العربية، وما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب. ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية»اهـ[3].

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله: «فإذا فرضنا مبتدئًا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشّريعة، أو متوسّطًا فهو متوسّط في فهم الشّريعة، والمتوسّط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة، فكان فهمُه فيها حجّة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآنَ حجّة. فمن لم يبلغ شأوهم فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التّقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يعد حجّة، ولا كان قوله فيها مقبولاً»اهـ[4].

---

[1] - سير أعلام النّبلاء للذهبي (10/ 178).

[2] - اقتضاء الصراط المستقيم (ص 162)، بواسطة النّبذ (ص 51).

[3] - اقتضاء الصراط المستقيم (1/ 527) بتحقيق ناصر العقل.

[4] - الموافقات (4/ 115) بشرح وتعليق عبد الله درّاز.

تنبيه: هناك كلام للإمام ابن تيمية رحمه الله فيه النّهي الشّديد عن التحدّث بغير اللّغة العربية، أدّى ببعض المسلمين غير العرب إلى ترك لغتهم التي نشأوا عليها، والجواب على هذا من وجوه:

الأوّل: لا دليل على كلام ذلك الإمام للوجوب.

الثّاني: الإمام ابن تيمية وغيره من العلماء يُستدَلُّ لأقوالهم ولا يُستدَلُّ بها.

الثّالث: يُحمَلُ كلام ابن تيمية رحمه الله على الاستحباب لا على الوجوب.

الرّابع: يُحمَلُ كلامُه على العرب الذين يتركون لغتهم ويتحدّثون بغيرها من اللّغات بدون حاجة. =

8 - البدءُ بدراسة آداب طلب العلم الشّرعي، وهي مهمّة جدًّا لأنها تضبط مسيرة الطالب وتعلّمُه حسن التصرّف في المراحل المختلفة مثل: التواضع للعلم والعلماء، وأداء حقوق أصحابه في الطلب، والتحلّي بآداب مجالس العلم، وآداب السؤال، والرضا باليسير من الدنيا ومتاعها، واغتنام الأوقات في الخير، وموقفه من أخطاء شيخه، وكيفيّة التعامل مع العلماء، وما يُنشر من العلم وما يُكتم.

«وكان الأدب هو المقياس الذي يُقاس به الناس عند سلفنا الصالح، فإذا لم يوافق هديُ الرجل علمَه تركوه ونبذوه، فليس العلمُ عن كثرة المعارف، وشحن الذّهن بالفنون واللّطائف، وإنما العلم ما تُوُصِّل به لخشية الله تعالى»[1].

«[إنّ] البلايا العظام لم تتوالَ علينا إلاّ يومَ هجر الناسُ السّمتَ الحسن، وأقبلوا على العلم ولم يزيّنوه بحليته الواجبة، فظهرت الأقوال الشاذّةُ، وكثرتِ الصراعاتُ والخلافاتُ، فلم نَجْنِ للعلم ثمرة، ونَدُرَ في الناس أهلُ العلم.

وقال ابنُ المبارك رحمه الله: «طلبتُ العلمَ فأصبْتُ منه شيئًا، وطلبتُ الأدبَ فإذا أهله قد بادوا».

=الخامس: يُحملُ كلامُه على من تكلّم بغير اللغة العربية إعجابًا بها ورِفعةً لها، ويترك اللّغة العربية احتقارًا لها. كما يفعل المستعمَرون الذين يقدّسون لغة المستعمِرين، الإنجليزية والفرنسية وغيرهما. أمّا مَن كانت لغته غير العربية وتكلّم بها للحاجة وخاصّة للدّعوة إلى الإسلام فأيّ مانع من ذلك. قال الله تعالى: **﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسانِ قومِه ليبيّن لهم فيضلُّ الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾**[إبراهيم: 4].

السادس: ما ورد من أحاديث تنهى عن الكلام بغير العربية فلا يصحّ منها شيء، كحديث: «من أحسن منكم أن يتكلّم بالعربية فلا يتكلّمن بالفارسية، فإنه يورث النفاق» رواه الحاكم في مستدركه. وسنده واهٍ كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (6/ 138)، وقال الإمام الألباني في السّلسلة الضّعيفة (2/ 12/ برقم 523): موضوع» اهـ. وكحديث: «كلام أهل النار بالفارسية» رواه الحاكم في مستدركه. وكحديث: «من تكلّم بالفارسية زادت في خبثه ونقصت من مروءته». وسندهما واهٍ كما قال الحافظ رحمه الله (6/ 138).

إذا وضح الأمر، فيحسن التّنبيه إلى فضل اللّغة العربية لأنها لغة القرآن، وهي أسهل لغة تعلّمًا ونطقًا وهي أوسع لغة وأغنى لغة فيجب على كلّ مسلم أن يتعلّم منها ما يفهم به دينه وتصحّ به عبادته، وكلّما اعتادها وتوسّع فيها فهو أمر حسن مستحسن ما لم يُشغل التوسّع فيها عمّا هو أوجب. لكن هذا شيء وتحريم الكلام بغير العربية شيء آخر، فالتحريم لا دليل عليه كما سبق التفصيل، والله أعلم.

[1] – منطلقات طالب العلم. جمع وترتيب محمد حسين يعقوب (ص 268).

وهـذا في زمانـه -رحمه الله- زمـان «خـير القـرون»، فكيـف بـه إذا رأى زمانَنـا هذا؟»اهـ[1].

ولـمّا كان مالك رحمه الله صبيًّا كانت أُمُّه تُعمِّمُه وتقول له: اذهـب إلى المسجد عنـد ربيعة وخُذ من أدبه قبل عِلمِه.

وقال الحسين بن عليّ لابنه: يا بنيّ إذا جالستَ العلماءَ فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلّمْ حسنَ الاستماع كما تتعلّـمْ حسن الصمت، ولا تقطع على أحـدٍ حديثًا وإن طال حتّى يمسك»[2].

وقال حاجي خليفة:«فكَما أنّ الملائكة لا تدخل بيتًا فيـه كلـب، كـذلك لا تـدخل القلب إذا وُجِد فيه كلاب باطنية. وكانت الأوائل يختبرون المتعلّمَ أوّلاً، فـإن وجـدوا فيـه خلُقًا رديًّا منعوه لئلاّ يـصير آلـة الفـساد، وإن وجـدوه مهـذّبًا علّمـوه ولا يطلقونـه قبـل الاستكمال خوفًا على فساد دينه ودين غيره»اهـ[3].

فعليك -يا طالب العلم- بالحرص على تعلّم الآداب أكثر من الحرص على تعلّـم المسائل، والزم المؤدِّبين، فقـد كـان الـسّلف الـصالح يخصّـصون لأولادهـم مـؤدِّبين كـما يخصّصون لهم معلّمين. وادرس على شيخ خمسة كتب على الأقلّ -في الآداب قبل الولـوج في العلم- مثل: كتاب الجامع لآداب الرّاوي والسّامع للخطيب البغدادي، وكتاب جـامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله لأبي عمـر يوسـف بـن عبـد الـبرّ، ورسـالة مسائل في طلب العلم وأقسامه للحافظ الـذّهبي، وكتـاب أدب الطّلـب لمحمـد بـن عـليّ الشوكاني، وحلية طالب العلم، ورسالة التّعالم لبكر بن عبد الله أبو زيد، وكتاب منطلقات طالب العلم لمحمد حسين يعقوب، وكتاب النُّبذ في آداب طالب العلم، تـأليف حمـد بـن إبراهيم العثمان[4].

---

[1] - المرجع السّابق (ص 267).

[2] - جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي من روايته وحمله لأبي عمر يوسف بن عبد البرّ، بتحقيـق أبي الأشـبال الزّهيري (1/ 521/ برقم 846).

[3] - كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون (1/ 45).

[4] - وهو كتاب مفيد جدًّا وماتع، أنصح طلاّب العلم بالإفادة منه، وقد نقلتُ منه في رسالتي هـذه كثـيرًا مـن المباحث والفوائد، جزى الله مؤلّفه خيرًا.

9- الاعتناء بالفهم الصّحيح للدّين، وضبط الاصطلاحات، والحذر من الظاهرية الجامدة:

قال الله تعالى: ﴿**وداودَ وسليمانَ إذْ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنمُ القوم وكنّا لحكمهم شاهدين ففهّمناها سليمان وكلاًّ آتينا حكمًا وعِلمًا**﴾[الأنبياء: 78- 79].

وعن **أبي جحيفة وهب بن عبد الله السّوائي** قال: قلت لعليّ: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن ؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلاّ فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة ؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»[1].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «صحّة الفهم، وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطيَ عبدٌ عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامُه عليهما وبهما يأمن العبدُ طريقَ المغضوب عليهم الذين فسد قصدُهم، وطريقَ الضّالين الذين فسدت فهومُهم، ويصير من المنعَم عليهم الذين حَسُنَتْ أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل اللهَ أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحّة الفهم نورٌ يقذفه اللهُ في قلب العبد، يميّز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغيّ والرّشاد، ويمدّه حسن القصد، وتحرّي الحقّ، وتقوى الرّبّ في السرّ والعلانية، ويقطع مادتَه اتباعُ الهوى، وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى»اهـ[2].

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «فرُبَّ رجُل يحفظ حروف العلم التي أعظمها حفظ حروف القرآن، ولا يكون له من الفهم، بل ولا من الإيمان ما يتميز به على من أوتي القرآن ولم يؤت حفظ حروف العلم»اهـ[3].

وممّا يعين على الفهم الصحيح للدّين لزوم التقوى، واتّباع السنّة، وأكل الحلال، وفهم الدّين على فهم السلف الصالح وهم أهل القرون الثلاثة المفضّلة.

---

[1] - رواه البخاري برقم (111).

[2] - إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين (ص 70) رتّبه وضبطه محمد عبد السلام إبراهيم.

[3] - مجموع الفتاوى (11/ 397- 398).

قال الله تعالى: ﴿والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّات تجري تحتَها الأنهارُ خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم﴾[التوبة:100].

وقال رسول الله ﷺ: «خيرُ الناس قرني، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم يجيء قوم لا خيرَ فيهم»[1].

وممّا يساعد على الفهم الصحيح أيضًا لزوم الألفاظ الشرعية: ألفاظ القرآن والسنّة، والبعد عن الألفاظ الحادثة، فقد جرّت على الأمّة أضرارًا عديدة، ومفاسد كبيرة.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «اللّفظُ المطابق للكتاب والسنّة هو الصواب، فليس لأحدٍ أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم، وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سببًا لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، فلهذا عظم القول في ذمّ الإرجاء، حتى قال إبراهيم النّخَعي: لَفِتْنَتُهم -يعني المرجئة- أخوف على هذه الأمّة من فتنة الأزارقة. وقال الزّهري: ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضرّ على أهله من الإرجاء»اهـ[2].

وقال ابن أبي العزّ الحنفي رحمه الله: «التّعبير عن الحق بالألفاظ الشرعيّة النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنّة والجماعة»اهـ[3].

وقال ابن القيّم رحمه الله: «ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النّص مهما أمكنه، فإنه يتضمّن الحكم والدّليل مع البيان التامّ، فهو حكمٌ مضمونٌ له الصّواب»اهـ[4].

10- مِنَ الآداب المهمّة الإرادة، والعزم، والهمة العالية، والحرص على الوقت، والرحلة لطلب العلم، والتحلّي بالصبر، وتحمّل المشاقّ من أجل العلم وتفريغ القلب له، «فإن الفكرة متى توزعت قصرت عن إدراك الحقائق»[5].

---

[1] - رواه الطبراني. وهو حديث حسن كما في صحيح الجامع (3293).

[2] - مجموع الفتاوى (7/ 394- 395).

[3] - شرح العقيدة الطّحاوية (ص 109).

[4] - إعلام الموقّعين (ص 810) رتّبه وضبطه محمد عبد السلام إبراهيم.

[5] - مختصر منهاج القاصدين (ص 18).

واحذرْ العجز والكسل لأنهما قاطعان عن كل خير، واحذرْ أن تحقر نفسك احتقارًا يؤدّي بك إلى ترك الطلب، والهروب من ثِقَلِ العلم[1].

11- **الحذر من المثبّطين عن العلم** الذين ينفّرون منه، ويصدّون الناس عنه صدودًا، فهؤلاء نوّاب إبليس في الأرض، وهم شرّ أنواع قطّاع الطريق، وهم شرّ الخلطاء، فإيّاك وإيّاهم.

قال ابن القيّم رحمه الله: «نوّاب إبليس في الأرض، وهم الذين يُثبّطون الناس عن طلب العِلْم والتفقّه في الدّين، فهؤلاء أضرّ من شياطين الإنس والجنّ فإنهم يحولون بين القلوب وبين هدى الله وطريقه» اهـ[2].

وهؤلاء المثبّطين نوعان: نوع يثبّط عن طلب العلم لأنه لا يريد أن يجلس جاهلاً وحده يحبّ أن يشاركه غيرُه في انحطاطه شأنه شأن صاحب المعصية، والناس فيما مضى يُسمُّون من لم يطلب العلم بـ"السّفلة"، فالسّافل يَوَدُّ لو أن كل الناس صاروا على شاكلته حتى يهون عليه حاله ولا يشعر بالشّذوذ والغربة.

ونوع ثانٍ يثبّط عن طلب العلم لأنه من أصحاب المناهج المنحرفة التي لا ترفع للعلم رأسًا، وربما صرفوا عنه خشية أن يعرف الناس عوار دعوتهم وفساد منهجهم، فيضعف حزبهم ويذهب جاههم.

ما هو البديل ؟

فإذا اجتنبت نوّاب إبليس، فلا بدّ لك من صحبة إخوة صدق، يعينونك على طلب العلم، ويشحذون همّتك إلى ذلك، ويُذكّرونك إذا نسيت، وينصحونك إذا أخطأت ولا يُعيّرونك أو يُهجّنونك»[3].

---

[1] - من التصرّفات الشائعة في بلادنا احتقار ما هو محَلِّي ولو كان صوابًا. فترى بعض الناس لا يأخذون العلم من أهل بلدهم ولو كان أهلاً للتدريس والتأليف والفتوى، ويأخذون العلم ممن هو من هنالك ولو كان أقل علمًا أو زمنًا من بَلَدِيِّهِمْ. وهذا من مخلّفات الاستعمار الفرنسي، ومنه ما هو نفسيٌّ، والواجب إنزال الناس منازلهم وإعطاءُ كل ذي حق حقه سواء كان محليًا أم وافدًا، والله المستعان.

[2] - مفتاح دار السّعادة (1/ 160) بواسطة النّبذ (ص 196).

[3] - النّبذ (ص 196) بتصرّف.

12- طلب العلم منذ الصّغر:

قال الحسن البصري رحمه الله: «طلب الحديث في الصِّغر كالنقش في الحجَر» اهـ[1].

وذلك لأن الإنسان كلما كبُر كثرت مسؤولياته سواء كانت هذه المسؤوليات خاصّة مثل الزواج، وإنجاب الأولاد، والكسب، أو كانت مسؤوليات عامّة، ولذلك قال الخليفة الرّاشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تفقّهوا قبل أن تُسوَّدوا».

استدراك: لكن هذا لا يعني أنّ الاشتغال بالعلم والفقه في الكِبَر غير ممكن، فقد تعلّم كثير من أصحاب رسول الله ﷺ في الكِبَر، لذلك قال الإمام البخاري رحمه الله معلّقا على كلام عمر السابق: «وبعد أن تسوّدوا» اهـ، لأنّ ما لا يدرك كلّه لا يُترك جلّه. وقد يحول بين المرء وبين التعلّم في الصغَر أمور وموانع خارجة عن إرادته: إمّا لجهله بقيمة العلم وأهميته، أو لانشغاله بتعليم دنيوي أو غير ذلك. فينبغي عليه أن يعوّض ما فاته، وما يمكنه تعويضه. ومما لا شكّ فيه أنّ المرءَ متى تقلّد مسؤوليات خاصّة أو عامّة فإنها تحول أو تقلّل من فُرص تعلّمه وتفقّهه إلاّ أن يكون ذا عزيمة وهمّة عاليتين.

وثمّة شيء آخر وهو: أنّ الإنسان إذا أصبح مسؤولاً، أو كبير السنّ، ربما يتكبّر ويتعالى، أو يستحي من الجلوس إلى من هو دونه في العمر والمنزلة إلاّ من رحم ربك» اهـ[2].

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: «فإن قال قائل: دَرْسُ الفقه إنما يكون في الحداثة، وزمن الشّبيبة، لأنه يحتاج إلى الملازمة، وشدّة الصّبر عليه والمداومة، ولا يقدر على ذلك من علتْ سنُّه، ولا يطمع فيه من مضى أكثر عمره، قيل: ليس مما ذكرت مانع من طلبه، وَلأنْ تلقى اللهَ طالبًا للعلم خير من أن تلقاه تاركًا له زاهدًا فيه راغبًا عنه» اهـ[3].

13- تَرك التهيّب والتكبّر والاستحياء في السّؤال عن العلم: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: نِعْمَ النساء نساء الأنصار، لم يمنعهنّ الحياء أن يتفقّهن في الدّين»[4].

---

[1] - جامع بيان العلم (1/ 357).

[2] - كتاب العلم للأمين الحاج (54- 55) بتصرّف.

[3] - الفقيه والمتفقّه (2/ 85) بواسطة النّبذ (ص 234).

[4] - رواه البخاري تعليقًا وموقوفًا على عائشة رضي الله عنها. وَوصله مسلم بسندٍ حسن. فانظر فتح الباري (1/ 184)، ومختصر البخاري للألباني (1/ 43).

وقال مجاهد بن جبر رحمه الله: «لا يتعلّم العلمَ مستحي ولا مستكبر»[1].

وقال الحافظ السّخاوي رحمه الله: «وليحذر الطّالب أن يمنعه التكبّر عن الاستفادة والسّماع لما ليس عنده ممن هو مثله، بل ومن هو دونه، فإنه من كان كذلك لم تحصل له نبالة في هذا الشأن»اهـ[2].

وقال ابن مفلح رحمه الله: «ومن ذلك أنّ الإنسان قد يجهل بعض العلم فيستحي من السّؤال والطّلب لكِبَر سنّه ولئلاّ يُرى بعين الجهل، فيلقى من الفضيحة إن سئل عن ذلك أضعاف ما آثر من الحياء»اهـ[3].

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله: أيّامي أربعة: يوم أخرج فألقى من هو أعلم منّي فأتعلّم منه، فذاك يوم فائدتي وغنيمتي. ويوم أخرج فألقى فيه من أنا أعلم منه فأعلّمه فذاك يوم أجري، ويوم أخرج فألقى فيه من هو مثلي فأُذاكره فذاك يوم درسي، ويوم أخرج فيه فألقى من هو دوني –وهو يرى أنه فوقي– فلا أكلّمه، وأجعله يوم راحتي»[4].

14- **اختيار حسن السّؤال**: قال الله تعالى: ﴿**وقولوا للناس حُسنًا**﴾[البقرة:83]. فإذا أمرنا الله بحسن القول للناس، فالعالم من باب أولى.

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَن يُحرَمِ الرّفقَ، يُحرمِ الخيرَ كلّه**»[5].

وقال وهب بن منبّه، وسليمان بن يسار رحمهما الله تعالى: «حُسن المسألة نصف العلم، والرّفق نصف العيش»[6].

وقال ابن سيرين رحمه الله: «كانوا يرون حسن السّؤال يزيد عقل الرجُل»[7].

---

[1] - رواه البخاري تعليقًا، وهو من كلام مجاهد. ووصله أبو نعيم في الحلية بسندٍ صحيح عنه (انظر المصدرين السّابقين).

[2] - الغاية في شرح الهداية (1/ 125) بواسطة النّبذ (ص 130).

[3] - الآداب الشّرعية (2/ 229) بواسطة النّبذ (ص 130).

[4] - جامع بيان العلم (1/ 535).

[5] - رواه مسلم، وأحمد، وأبو داود، وغيرهم.

[6] - جامع بيان العلم (1/ 382).

[7] - العقل وفضله (رقم 68- ص 62- 63) بواسطة النّبذ (ص 131).

وقال ابن المنير في فوائد حديث جبريل في الإسلام والإيمان والإحسان:«في قوله: (يعلّمكم دينكم) دلالة على أنّ السّؤال الحسن يسمى علمًا وتعليمًا لأنّ جبريل لم يصدر منه سوى السّؤال ومع ذلك فقد سمّاه معلّمًا»اهـ[1].

وقال ابن الصلاح رحمه الله:«ولا يسأله وهو قائم أو مستوفز، أو على حالة ضجر، أو هَمٍّ به، أو غير ذلك مما يشغل القلب»اهـ[2].

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله:«وإن رآه في همّ قد عرض له، أو أمرٍ يحول بينه وبين لبّه ويصدّه عن استيفاء فكره أمسك به، حتّى إذا زال ذلك العارض وعاد إلى المألوف من سكون القلب وطيب النفس فحينئذ يسأله»اهـ[3].

وقال عبد الرحمن السّعدي رحمه الله:«وينبغي أيضًا للمتعلّم أن يلطف بالسؤال، ويرفق بمعلّمه ولا يسأله في حالة ضجر أو ملل أو غضب، لئلاّ يتصوّر خلاف الحق مع تشويش الذّهن، وأقلّ الحالات أن يقع الجواب ناقصًا»اهـ[4].

15- **الصّبرُ على ما قد يظهر من الشيخ من سوء خلق**، كغضب، أو جفاء، أو انتهار، أو شدّة، فإنّ الشيخَ بشر قد يغضب، وقد يكون مهمومًا، وقد يكون حادّ المزاج، فيصبر الطّالب على ذلك منه حتى لا يخسر علمَ الشيخ وعليه أن يحمل أفعاله التي يظهر أنّ الصواب خلافها على أحسن محمل، ويلتمس له الأعذار، ضمن الضّوابط الشرعية.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:«من حقّ العالم أن لا تكثر عليه بالسّؤال، ولا تعنته في الجواب، وأن لا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشين له سرًّا، ولا تغتابنّ عنده أحدًا، ولا تطلبنّ عثرته، وإن زلّ قبلتَ معذرته، وعليك أن توقّره وتعظّمه لله ما دام يحفظ أمرَ الله، ولا تجلسنّ أمامَه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته»اهـ[5].

---

[1] - فتح الباري (1/ 103).

[2] - أدب المفتي والمستفتي، بتحقيق موفّق بن عبد الله بن عبد القادر (ص 171).

[3] - الفقيه والمتفقّه (2/ 179) بواسطة النّبذ (ص 132).

[4] - الفتاوى السّعدية (ص 102) بواسطة النّبذ (ص 132).

[5] - جامع بيان العلم (1/ 519).

وقال عمر بن الخطاب ﷺ:«تعلّموا العلم، وتعلّموا له السّكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلّمون منه ولمن تُعلّمونه، ولا تكونوا جبابرة العلماء»[1].

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما:«ذَلَلْتُ طالبًا فعززتُ مطلوبًا»[2].

وقال شعبة رحمه الله:«كلُّ من سمعتُ منه حديثًا فأنا له عبدٌ»[3].

وقال وهب بن منبّه رحمه الله:«إنّ للعلم طغيانًا كطغيان المال»[4].

وقال الشّعبي رحمه الله:«كان أبو سلمة يماري ابنَ عبّاس فحُرِم بذلك علمًا كثيرًا»[5].

وقال أبو سلمة:«لو رفقت بابن عبّاس لاستخرجتُ منه علمًا كثيرًا»[6].

وقال بلال بن أبي بردة رحمه الله: «لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا»[7].

وقال الشافعي رحمه الله: «قيل لابن عيينة: إنّ قوما يأتونك من أقطار الأرض فتغضب عليهم! يوشك أن يذهبوا أو يتركوك. قال: هم حمقى إذن مثلك أن يتركوا ما ينفعهم لسوء خلقي»[8].

وقال بعض السلف: «من لم يصبر على ذل التعليم بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره إلى عزّ الدنيا والآخرة»[9].

---

[1] - جامع بيان العلم وفضله (1/ 501).

[2] - جامع بيان العلم (1/ 507).

[3] - جامع بيان العلم (1/ 512).

[4] - جامع بيان العلم (1/ 514).

[5] - جامع بيان العلم (1/ 521).

[6] - جامع بيان العلم (1/ 520).

[7] - جامع بيان العلم (1/ 529).

[8] رواه البهقي في كتاب مناقب الشافعي (2/ 145-146) بواسطة النبذ (ص125).

[9] -تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (ص91) بواسطة النبذ (ص126).

16 – عدم الخوض في أوّل طلب العلم في اختلاف العلماء، لأنّ ذلك يحيّر العقل، ويفتر الذهن[1]. وكذلك ترك ابتداء الطلب من كتب الرّدود، وكذا الاشتغال بكلام الأقران في بعضهم[2].

17 – الأخذ من كل علم أحسنَه، ومُستطاعَه، والاهتمام بطلب أصول المسائل العلمية والعملية، والقواعد الشرعية، وتَرْك التوسّع في علوم الآلة التي هي وسائل كالنحو، واللغة، وأسماء الرجال، وأخبارهم، ونحو ذلك، لأنّ العمرَ لا يتّسع لجميع العلوم، وقد قيل:

العلمُ إنْ طلبته كثيرُ * والعمرُ عن تحصيله قصيرُ**

فاطلب الأهم * منه فالأهم**

قال الشيخ عبد الرحمن السّعدي رحمه الله: «وينبغي أن تتخيّر من الأعمال النافعة الأهمّ فالأهمّ، وميّز بين ما تميل نفسك إليه وتشتدّ رغبتك فيه، فإنّ ضدّه يُحدث السّآمة والملل والكدر، واستعِنْ على ذلك بالفكر الصحيح والمشاورة، فما ندم من استشار، وادرس ما تريد فعله درسًا دقيقًا، فإذا تحقّقت المصلحة وعزمتَ فتوكّل على الله إن الله يحبّ المتوكلين»اهـ[3].

وقال أيضًا: «إذا ذُكِرَت أصولُ المسائل ومآخذها ومقاصدُ الشّرع وبيان حكمها وأسرارها تقرّرت في الأذهان، وصار هذا العلمُ على هذا الوجه أكمل بكثير من تعلّم مجرّد صُور المسائل وأفرادها دون حكمِها ومآخذها، فإنّ هذا النّوع قليلُ الثبوت في الذهن لا يُكسب صاحبه تمرّنا على المباحث العلمية والتفريعات النافعة، ولا يهتدي إلى الفرق بين المسائل المتفرّقة أحكامُها ولا إلى الجمع بين المسائل المجتمعة أحكامُها في أصل وعلّة، واتّضح لك فائدة هذا الأصل وسعتُه»اهـ[4].

---

[1] – مختصر منهاج القاصدين (ص 19) ببعض التصرف، وانظر كشف الظنون (1/ 49).

[2] – انظر جامع بيان العلم (2/ 1087 – 1119).

[3] – الوسائل المفيدة للحياة السّعيدة (ص 26).

[4] – إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب (ص 208 – 209).

18- **وبعد ذلك صرف أكثر الوقت والجهد في طلب أشرف العلوم التي هي** علوم مقصودة بالذّات من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأوامره ونواهيه ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه. قال الله تعالى: ﴿**وقل ربّ زدني علمًا**﴾[طه:114]. فلم يأمر اللهُ نبيَّه ﷺ بطلب الازدياد في شيء إلاّ من العلم، والمرادُ بالعلم: العلم الشرعي[1].

19- **العنايةُ بتعلّم تقديم أهمّ المصالح، ودرء أكبر المفاسد عند الازدحام** وترجيح أقوى الدّليلين، وإنكار أنكر المنكرين وهذا هو خاصّة العلماء بهذا الدّين.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «**فتفطّنْ لحقيقة الدّين، وانظرْ ما اشتملت** عليه الأفعال من المصالح الشّرعية والمفاسد، بحيث تعرف ما مراتب المعروف، ومراتب المنكر، حتى تقدّم أهمها عند الازدحام، فإنّ هذا حقيقة العلم بما جاءت به الرسل، فإنّ التمييز بين جنس المعروف وجنس المنكر، أو جنس الدليل، وغير الدليل يتيسّر كثيرًا. فأمّا مراتب المعروف والمنكر، ومراتب الدّليل، بحيث يقدّم عند التّزاحم أعرف المعروفين، وينكر أنكر المنكرين، ويرجّح أقوى الدّليلين، فإنه هو خاصّة العلماء بهذا الدين»اهـ[2].

20- **العملُ بالعلم**. قال الله تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون، كبُرَ مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾[الصّفّ:2- 3].

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تزولُ قدمَا عبدٍ يومَ القيامة حتى يسأل عن عمره فِيمَ أفناه، وعن عِلمه فيمَ فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه**»[3].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: العلمُ يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلاّ ارتحل[4].

وقال أبو الدّرداء رضي الله عنه: «لا تكون تقيًّا حتى تكون عالمًا، ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملاً»[5].

---

[1] - انظر فتح الباري (1/ 115).

[2] - اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 172).

[3] - رواه الترمذي، والدّارمي، وغيرهما. وهو حديث صحيح. فانظر السّلسلة الصحيحة برقم (946).

[4] - جامع بيان العلم (1/ 707) عن سفيان الثّوري، وذكَر أبو الأشبال أنه في كتاب اقتضاء العلم (40، 41).

[5] - جامع بيان العلم وفضله (1/ 698).

وقال أيضًا ﷺ: إنّ أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: قد علمتَ فماذا عملتَ فيما علمت»[1].

والتقوى هي أن يجعل العبد وقاية بينه وبين عذاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فعل ذلك وفّقه الله لمعرفة الحق من الباطل.

قال الله تعالى:﴿**يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا اللهَ وآمِنوا برسولِه يؤتِكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورًا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم**﴾[الحديد:28].

وقال تعالى:﴿**يا أيّها الذين آمنوا إن تتّقوا اللهَ يجعل لكم فرقانًا ويكفّر عنكم سيّئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم**﴾[الأنفال:29].

قال ابن القيّم رحمه الله:«حذارِ حذارِ من أمرين لهما عواقب سوء، أحدهما ردّ الحق لمخالفته هواك فإنك تعاقب بتقليب القلب وردّ ما يرد عليك من الحق رأسًا، ولا تقبله إلاّ إذا برز في قالب هواك، قال تعالى:﴿**ونقلّبُ أفئدتهم وأبصارَهم كما لم يؤمنوا به أوّلَ مرّةٍ**﴾، فعاقبهم على ردّ الحق أوّل مرّة بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك»[2].

21- تقديم طلب العلم الشّرعي على سائر العبادات المستحبة في حال المزاحمة[3].

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:«**فضلُ العلم أحبّ إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع**»[4]. ومعنى كلمة فضل هنا: الزيادة والنافلة.

وقال مطرف بن عبد الله بن الشّخير رحمه الله:«حظّ من علم أحبّ إليّ من حظٍّ من عبادة، ولأَنْ أُعافى فأَشكُر أحبّ إليّ من أن أُبتلى فأصبر، ونظرتُ في الخير الذي لا شرَّ فيه فلم أرَ مثل المعافاة والشكر»[5].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «تذاكر العلم بعض ليلة أحبّ إليّ من إحيائها»[6].

---

[1] - السّابق (1/ 680).

[2] - بدائع الفوائد (3/ 180) بواسطة النّبذ (ص 218).

[3] - انظر النبذ (ص 99- 102).

[4] - رواه البزّار، والطبراني في الأوسط، والحاكم. وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (4214).

[5] - جامع بيان العلم (1/ 117).

[6] - جامع بيان العلم (1/ 117).

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «ما يُراد اللهُ عزّ وجلّ بشيء أفضل من طلب العلم، وما طُلِب العلم في زمان أفضل منه اليوم»[1].

وقال عبد الله بن وهب: «كنتُ عند مالك بن أنس فجاءت صلاة الظهر أو العصر وأنا أقرأ عليه، وأنظر في العلم بين يديه فجمعتُ كتبي وقمتُ لأركع، فقال لي مالك: ما هذا ؟ قلتُ: أقوم للصلاة. قال: إن هذا لعجب فما الذي قمتَ إليه بأفضل من الذي كنتَ فيه، إذا صحتِ النية فيه»[2].

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: «طلب الحديث في هذا الزمان أفضل من سائر أنواع التطوّع لأجل دروس السنن وخمولها، وظهور البدع واستعلاء أهلها»[3].

وقال البغوي رحمه الله: «وفضل العلم على العبادة من حيث إن نفع العلم يتعدّى إلى كافة الخلق، وفيه إحياء الدّين، وهو تِلو النبوة»[4].

وقال الحافظ ابن عبد البرّ في التمهيد: «هذا كتبتُه من حفظي، وغاب عنّي أَصْلي، إن عبد الله العُمري العابد كتب إلى مالك يحضّه على الانفراد والعمل. فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمالَ كما قسم الأرزاق، فرُبَّ رَجُلٍ فُتح له في الصلاة، ولم يُفتح له في الصوم، وآخَر فُتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد. فنَشْرُ العلم من أفضل أعمال البرّ، وقد رضيتُ بما فُتِح لي فيه، وما أظنّ ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أن يكون كلانا على خير وبِرّ»[5].

أقول: هذا كلّه إذا تزاحم طلب العلم مع نوافل العبادات، أمّا من استطاع الجمع بينها فنعمّا هو، وإلاّ فليحافظ الطالب على الفرائض مع رواتبها قدر الاستطاعة.

22- **ترك الجدال والمناظرة إلاّ عند الحاجة بشرط التحلّي بآدابها.**

---

[1] - جامع بيان العلم (1/ 243).

[2] - جامع بيان العلم (1/ 122).

[3] - شرف أصحاب الحديث (ص 86) نقلاً عن النّبذ (ص 101).

[4] - شرح السّنة (1/ 278).

[5] - سير أعلام النّبلاء (8/ 114).

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**أبغضُ الرجال إلى الله الألدّ الخصم**»[1].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُن خلقه**»[2].

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلاّ أوتوا الجدل**»[3].

وقال عبد الله بن حسن بن حسن رحمه الله: «المراءُ يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقلّ ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة» اهـ[4]. **وقال مالك** رحمه الله: «الجدالُ في الدّين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب، ويقسي القلب، ويورث الضّغن» اهـ[5].

وقال الشافعي رحمه الله: «من إذلال العلم أن تناظر كل من ناظرك، وتقاول كل من قاولك» اهـ[6].

وقال أبو بكر الآجرّي رحمه الله: «اعلموا أنّ من صفة العالم العاقل الذي فقهه الله في الدين ونفعه بالعلم أن لا يجادل ولا يماري ولا يغلب بالعلم إلاّ من يستحق أن يغلبه بالعلم الشافي، وذلك يُحتاج في وقت من الأوقات» اهـ[7].

---

[1] – رواه البخاري واللفظ له، ورواه مسلم.

[2] – رواه أبو داود، والضّياء. وهو حديث حسن كما في صحيح الجامع (1464).

معنى ربض الجنّة: مُشَبَّهٌ بربض المدينة وهو ما حولها من العمارة وهي الأبنية التي تكون حول المدن، والمراء الجدال، وهو: المخاصمة، والمحاجّة، والمغالبة. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (2/ 749– 750)، وعون المعبود (8/ 196).

[3] – رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجة، وغيرهم. وهو حديث حسن كما في صحيح الجامع (5633).

[4] – جامع بيان العلم (2/ 952).

[5] – جامع بيان العلم.

[6] – مناقب الشافعي للبيهقي (2/ 151) نقلاً عن النّبذ (ص 137).

[7] – أخلاق العلماء (ص 39) نقلاً عن النّبذ (ص 137).

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «فما سكت من سكتَ عن كثرة الخصام والجدال جهلاً ولا عجزًا، ولكن سكتوا عن علم وخشية لله، وما تكلّم من تكلّم، وتوسَّعَ من توسَّعَ بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم، ولكن حبًّا للكلام وقلّة الورع، كما قال الحسن وسمع قومًا يتجادلون: هؤلاء ملّوا العبادة، وخَفَّ عليهم القول، وقلّ ورعهم، فتكلّمُوا» اهـ[1].

وقال الإمام عبد الله بن محمد الأندلسي المالكي في قصيدته المعروفة بنونية القحطاني:

لا تُفنِ عمرَك في الجدال مخاصمًا ... إنّ الجدالَ يخلّ بالأركان
واحذر مجادلةَ الرجال فإنها ... تدعو إلى الشحناء والشنآن
وإذا اضطررت إلى الجدال ولم تَجِدْ ... لك مهربًا وتلاقَتِ الصفان
فاجعل كتابَ الله درعًا سابغًا ... والشرعَ سيفك وابدُ في الميدان
والسّنةَ البيضاء دونك جُنّة ... واركبْ جواد العزم في الجَوَلان

تنبيه: مما يؤسف له أنّ كثيرًا من طلاّب العلم الشرعي –اليوم- مفتونون بالجدال والمناظرات الطويلة الخالية عن الآداب، وفي مسائل حسّاسة ودقيقة التي ينبغي أن لا يتكلّم فيها إلاّ الجهابذة من أهل العلم، مثل مسائل التكفير، الخروج على الحكّام، الجرح والتعديل، ونحو ذلك. فتجد مناظرات تُعقد في ساعات طويلة جدًّا ثم يخرج المتناظرون ولم يصلوا إلى نتيجة حسنة بسبب عدم معرفة شروط وآداب المناظرة. وفي هذا شرٌّ عظيم من التباغض والشحناء والأمراض، والتّضييع للأوقات والجهود فيما لا يفيد. أمّا إن كانت المناظرة لمذاكرة العلم مع الأقران، ومع منصف سليم الطّبع، والفهم، والمنهج، فهي مفيدة. فقد قيل: مطارحة ساعة خير من تكرار شهر[2].

---

[1] – فضل علم السّلف على علم الخلف (ص 34– 35) نقلاً عن النّبذ (ص 138).

[2] – ومن المناظرة الجائزة المفاضلة بين أهل العلم إذا كانت لمقصد شرعي كمن يستحقّ المجالسة منهم، والاستفتاء، وتقديم الأعلم عند الحاجة. والمفاضلة في الأصل تكون بمجموع العلوم لا بعلم بعينه أو بمسألة خاصّة، فربما يعلم الرجُلُ شيئًا وفنًّا ويجهل فنونًا، وربما جهل مسألة أو فنّا وهو واسع الاطّلاع في سائر العلوم والفنون. فالعلم بنوع من العلوم لا يستلزم العلم مطلقًا...والمعيار مجموع العلم، ومجموع الموافقة للحق فمن كثرت موافقته للحق فهو أعلم...وهذه المفاضلة تكون بين علماء أهل السّنة نقاوة المسلمين، أمّا أهل البدع=

وقال بعض أهل العلم: العلمُ بالمذاكرة والدّرس والفكر والمناظرة.

23- الاعتناء بحفظ ما يحفظ من العلم وأحسن ذلك القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿**بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم**﴾[العنكبوت: 49].

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «**كان رسول الله ﷺ يعلّمنا التشهد كما يعلّمنا السورة من القرآن**»[1].

وقال الميموني: سألتُ أبا عبد الله (يعني أحمد بن حنبل) أيّهما أحبّ إليك، ابدأ ابني بالقرآن أو الحديث ؟ قال: لا، بالقرآن. قلتُ: أُعلّمه كلَّه ؟ قال: إلاّ أن يعسر، فتُعلّمُهُ منه. ثم قال لي: إذا قرأ أوّلاً تعلّم القراءة ولزمها»[2].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: حدّثنا رسولُ الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخَر، حدّثنا: «أنّ الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة...» الحديث[3].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله «ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة» كذا في هذه الرواية بإعادة ثم» وفيه إشارة إلى أنهم كانوا يتعلّمون القرآن قبل أن يتعلّموا السّنن، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي ﷺ واجبًا كان أو مندوبًا»اهـ[4].

وقال ابن عبد البرّ رحمه الله: «فأوّل العلم حفظ كتاب الله جلّ وعزّ وتفهّمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول: إنّ حفظَه كلّه فرض، ولكن أقول: إنّ ذلك واجب لازم على من أحبّ أن يكون عالمًا ليس من باب الفرض»اهـ[5].

=فلا يُذكرون مع أهل السّنة لأنهم ليسوا منهم ولا كرامة» اهـ من كتاب النّبذ (91- 93). وأمّا إذا كانت المفاضلة بين أهل العلم عصبية، وحمية، وتحزّبًا باطلاً فهي مذمومة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**» رواه البخاري ومسلم.

[1] - رواه مسلم.

[2] - الآداب الشرعية لابن مفلح (2/ 33) بواسطة النّبذ (ص 69).

[3] - رواه البخاري ومسلم.

[4] - فتح الباري (13/ 32).

[5] - جامع بيان العلم.

وقال النووي رحمه الله: «وأوّل ما يبتدئ به حفظ القرآن العزيز فهو أهم العلوم، وكان السلف لا يعلّمون الحديث والفقه إلاّ لمن حفظ القرآن، وإذا حفظ فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالاً يؤدي إلى نسيان شيء منه أو تعريضه للنسيان»اهـ[1].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وأمّا طلب حفظ القرآن فهو مقدّم على كثير مما تسميه الناس علمًا: وهو إمّا باطل أو قليل النفع. وهو أيضًا مقدّم في التعلّم في حق من يريد أن يتعلّم علم الدّين من الأصول والفروع، فإنّ المشروعَ في حقّ مثل هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنه أصل علوم الدّين، بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع من الأعاجم وغيرهم، حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم، من الكلام أو الجدال، والخلاف أو الفروع النّادرة، والتقليد الذي لا يحتاج إليه، أو غرائب الحديث التي لا تثبت ولا ينتفع بها، وكثيرٌ من الرياضيات التي لا تقوم بها حجّة، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كلّه»اهـ[2].

وقال مروان بن محمد رحمه الله: «ثلاثة لا يستغني عنها صاحب العلم: الصدق، والحفظ، وصحّة الكتب، فإن أخطأَتْهُ واحدة لم تضرّه. إن أخطأه الحفظ فرجع إلى كتب صحيحة لم يضرّه»اهـ[3].

وقال عبيد الله بن الحسن رحمه الله: «وجدت أحضر العلم منفعةً ما وعيتُه بقلبي»اهـ[4].

24- تحصيل الأسباب المعينة على الحفظ من الابتعاد عن المعاصي، وتفريغ القلب من الشواغل، واختيار أوقات نشاط الذّهن، والإكثار من المذاكرة، وتناول بعض المطعومات المعينة على الحفظ كالعسل، والزّبيب، فقد كان الإمام محمد بن شهاب الزّهري

---

[1] - مقدّمة المجموع شرح المهذّب (1/ 38) بواسطة النّبذ (ص 69).

[2] - الفتاوى الكبرى (2/ 235) بواسطة النّبذ (ص 70).

[3] - رواه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (2/ 36) عن النّبذ (ص 54).

[4] - الجامع لأخلاق الرّاوي (2/ 250 برقم 1755).

يكثر منهما ويقول: إنهما يذكِّران، ويقلّل جدًّا من أكل الخَلّ، والتفّاح الحامض ويقول: إنهما يُنَسِّيان[1]. وكان الإمام الشافعي رحمه الله يأكل اللُّبّان للحفظ لكنه بالغ فيه حتى أضرّه[2].

وروى الأوزاعي عن الزّهري قال: إنما يُذهِبُ العلمَ النسيانُ، وتركُ المذاكرة[3].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«تعاهدوا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشدّ تفلّتًا من الإبل في عُقُلها»**[4].

قال ابن عبد البرّ رحمه الله: «وإذا كان القرآن الميسر للذّكر يذهب إن لم يُتعاهد، فما ظنّك بغيره من العلوم المعهودة، وخير العلوم ما ضُبط أصله، واستذكر فرعه، وقاد إلى الله تعالى، ودلّ على ما يرضاه»[5]. وقال عليّ رضي الله عنه: «تذاكروا هذا الحديث وتزاوَرُوا فإنكم إن لم تفعلوا يُدْرَسْ»[6].

25- الاعتناء بمشاورة ومباحثة أهل العلم في المسائل العلميّة خاصّة ما كان منها دقيقًا وغامضًا وجديدًا بشرط أن لا تشوّش هذه المسائل على ترتيب طلب العلم[7].

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ»[8].

---

[1] - انظر سير أعلام النبلاء (5/ 332- 335).

[2] - سير أعلام النّبلاء (10/ ص 15)، وقال المعلّق في تعريف اللُّبان: هو نبات من الفصيلة البخورية يُفرِز صمغا، ويسمى الكندر. وانظر فوائده في كتاب " المعتمد في الأدوية المفردة» (ص 434- 435).

[3] - السِّيَر (5/ 337).

[4] - رواه البخاري ومسلم.

[5] - التّمهيد (6/ 46).

[6] - سنن الدّارمي (1/ 158/ برقم 626).

[7] - ممّا يشوّش على كثير من طلبة العلم في هذا الزّمان القفز إلى المسائل الكبيرة لإيجاد الحلول لها بسبب عدم وجود العلماء في كثير من البلدان، أو بسبب عدم اقتناع كثير من هؤلاء الطلاّب بفتاوى العلماء الربّانيّين، فيقع الخلط، ويتشوّش فكر الطالب. والصّواب هو: على طالب العلم الاستمرار في طلب العلم بالترتيب وبدون قفز، ويُشاور ويباحث في ذلك، وأمّا النّوازل فيتركها للعلماء الربانيين، ولن يحاسَب الطالب على ما لا يستطيعه. قال الله تعالى: **﴿لا يكلّف الله نفسًا إلاّ وُسعَها﴾**[البقرة:286].

[8] - سير أعلام النبلاء (3/ 344).

وقال الإمام مالك رحمه الله: «وإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ تصعب عليه من المسائل ولا يجيب أحد منهم عن مسألة حتى يأخذ رأي صاحبه مع ما رُزقوا من السّداد والتوفيق والطهارة، فكيف بنا الذين غطّت الذنوب والخطايا قلوبنا؟»اهـ[1].

وقال ابن القيّم رحمه الله: «وإن كان عنده مَن يثق بعلمه ودينه، فينبغي له أن يشاوره، ولا يستقلّ بالجواب ذهابًا بنفسه وارتفاعًا بها، أن يستعين على الفتاوى بغيره من أهل العلم، وهذا من الجهل، فقد أثنى اللهُ سبحانه على المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم، وقال تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾، وقد كانت المسألة تنزل بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيستشير لها من حضر من الصحابة، وربما جمعهم وشاورهم، حتى كان يشاور ابن عباس رضي الله عنهما وهو إذ ذاك أحدث القوم سنًّا، وكان يشاور عليًّا رضي الله عنه وعثمان وطلحة والزّبير وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين»اهـ[2].

وقال أيضًا: «ولهذا كان من سداد الرّأي وإصابته أن يكون شورى بين أهله، ولا ينفرد به واحد، وقد مدح الله سبحانه المؤمنين بكون أمرهم شورى بينهم، وكانت النّازلة إذا نزلت بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس عنده فيها نص عن الله ولا عن رسوله، جمع لها أصحاب رسول الله ﷺ، ثم جعلها شورى بينهم»اهـ[3].

---

[1] - أدب المفتي والمستفتي لابن الصّلاح بواسطة النّبذ (ص 224).

[2] - إعلام الموقّعين (4/ 256) بواسطة النّبذ (ص 224- 225).

[3] - إعلام الموقّعين (14/ 84) بواسطة النّبذ (ص 225).

تنبيه: من الأمور التي ينبغي علاجها في هذا الزّمان: ابتعاد كثير من طلاّب العلم الدّعاة عن بعضهم وعدم تشاورهم، فتجد طالبي علم في بلدة واحدة، بل قد يُدَرِّسان في مسجد واحد ولا يلتقيان ولا يتشاوران فيما يدرّسان للناس، وفيما هو الأهمّ من المهمّ !! هذا إن سَلِمَا من طعن أحدهما في الآخر !! وهذا مرجعه إلى الغفلة، أو إلى إعجاب كلّ ذي رأي برأيه أو إلى كليهما !! واللهُ تعالى يقول: ﴿**سنشدّ عضدَك بأخيك**﴾[القصص:35]، ويقول الرسولُ ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا» وشبّك بين أصابعه، رواه البخاري ومسلم. وفي سيَر العلماء أمثلة كثيرة لتشاورهم وتعاونهم على البرّ والتقوى، فأين طلاّب العلم من ذلك ؟ فإن تعذّر التّشاور فلا أقلّ من أن يمسك هؤلاء ألسنتهُم، ولا يقعوا في الطّعن في إخوانهم كما يفعل اليوم غلاة الجرحْ والتّبديع، وليقوموا بنصيحة من أخطأ من إخوانهم بدون إحداث بلبلة وفتنة !! ذلك أنّ توافق أهل العلم مهمّ خاصّة أمام الناس، وأمّا اختلافهم وتفرّقهم فهو فتنة للناس، وتنفير لهم، وصَدٌّ عن=

26- **الابتعاد عن الانتماء للأحزاب والفِرَق، والطّوائف**، فلا طائفية ولا حزبية يُعقد الولاء والبراء عليها. فيا طالب العلم كن مسلمًا على منهج السّلف، أهل السّنة والجماعة، وهم جماعة المسلمين، ولا تكن خرّاجًا ولاّجًا في الجماعات والفِرق والأحزاب فتخرج من سعة الإسلام إلى القوالب الضيّقة.

قال الله تعالى: **﴿وأنّ هذا صراطي مستقيمًا فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبُلَ فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون﴾**[الأنعام:153]. وقال تعالى: **﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شِيَعًا كُلّ حزب بما لديهم فرحون﴾**[الرّوم:31-32]. ومعنى شِيَعًا: فِرقًا وأحزابًا[1].

وقال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب الفتن: باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ؟ ثم أورد حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسألُه عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلتُ: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهليّة وشرّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخير، فهل بعد هذا من خير ؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَن**»[2]، قلت: وما

=سبيل الله، فقد قال رسول الله ﷺ لأبي موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما لـمّا بعثهما إلى اليمن:«**يسّرَا ولا تعسّرَا، وبشّرَا ولا تنفّرَا، وتطاوعا ولا تختلفا**» رواه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في الفتح (13/ 139):«قوله (وتطاوعا) أي توافقا في الحكم ولا تختلفا لأنّ ذلك يؤدّي إلى اختلاف أتباعكما، فيفضي إلى العداوة ثم المحاربة، والمرجع في الاختلاف إلى ما جاء في الكتاب والسّنة كما قال تعالى: **﴿فإن تنازعتم في شيء فرُدّوه إلى الله والرّسول﴾**[النّساء:59] »اهـ.

وقال النّووي رحمه الله في شرح مسلم (12/ 41) في فوائد هذا الحديث:«وفيه أمر الولاة بالرّفق، واتفاق المتشاركين في ولاية ونحوها وهذا من المهمّات، فإن غالب المصالح لا يتمّ إلاّ بالاتّفاق، ومتى حصل الاختلاف فات»اهـ.

وقد غضب عمر بن الخطّاب رضي الله عنه من اختلاف ابن مسعود، وأُبيّ بن كعب في الصلاة في الثّوب الواحد، فقام عمر على المنبر وقال: القول ما قال أُبيّ، ولم يَألُ ابن مسعود (أي لم يقصر) ثم قال عمر: رَجُلان من أصحاب رسول الله ﷺ يختلفان ! ماذا يقول الناس ؟ لا أسمع بأحدهم اختلف بعدَ مقامي هذا إلاّ فعلتُ وفعلتُ. رواه عبد الرّزاق في المصنّف.

[1] - انظر تفسير الآية عند ابن كثير.

[2] - أي ليس خيرًا خالصًا، بل فيه كدر، وعدم صفاء (فتح الباري).

دخنُه ؟ قال: «**قومٌ يهدون بغير هَديي، تعرِف منهم وتُنكِر**»[1]. قلتُ: فهل بعد ذلك الخيرِ من شرّ ؟ قال: «**نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**». قلتُ: يا رسولَ الله صِفهم لنا، قال: «**هم من جِلدتِنا، ويتكلّمون بألسنتنا**»[2] قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال: «**تلزَمُ جماعة المسلمين وإمامَهم**» قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام ؟ قال: «**فاعتزل تلك الفِرَق كلَّها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة، حتى يدركَك الموتُ وأنتَ على ذلك**»[3].

قال ابن بطال رحمه الله: فيه حجّة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك الخروج على أئمة الجور، لأنه وصَفَ الطائفة الأخيرة بأنهم «دعاة على أبواب جهنم»، ولم يقل فيهم «تعرف وتنكر» كما قال في الأوّلين، وهم لا يكونون كذلك إلاّ وهم على غير حقّ، وأمَرَ مع ذلك بلزوم الجماعة»اهـ[4].

فعلى المسلم أن يكون من أهل السّنة والجماعة، أتباع السّلف الصالح وهم الجماعة. فمن شذّ عنهم بعقيدة أو منهج غير سبيلهم عمدًا فليس منهم إذا كان عدوًّا لمنهج السّلف فهذا قد ضلّ، أمّا من خالفهم اجتهادًا خطأً فهذا قد زَلَّ.

قال الإمام ابن عبد البرّ رحمه الله: «ومَن تعدّى سبيلهم (أي السّلف) عامدًا ضلّ، ومن تعدّاه مجتهدًا زَلّ»اهـ[5].

---

[1] – أي أعمالهم فيها الخير وفيها الشرّ.

[2] – أي من قومنا ومن أهل لساننا وملّتنا.

[3] – رواه البخاري ومسلم.

[4] – فتح الباري (13/ 30) وانظر حلية طالب العلم (ص 61- 64)، وكتاب حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية تأليف بكر أبو زيد، وكتاب الأحزاب السياسية في الإسلام تأليف صفيّ الرحمن المباركفوري.

[5] – جامع بيان العلم.

تنبيه: التّقييد بكون المخالف عدوًّا لمنهج السّلف هو قيد مهمّ، تزول به كثير من الاختلافات التي ظهرت اليوم بين أتباع السّلف، فكثير من هؤلاء يعادون ويبدّعون من يخطئ في بعض المنهج باجتهاد، مع أنّ هذا المخطئ يظهر منه الإخلاص ونشر التّوحيد والسّنة الصحيحة والدّعوة إليها ونصرتها وحبّ علماء السّلف ومحاربة البدع !! فلنتقّ اللهَ ولنكن منصفين، ولنحاول تقليل الفرقة والاختلاف بين أهل الحق. وهذا لا يعني السّكوت على الخطأ أو الرّضا به، بل لا بدّ من البيان ممن هو أهل لذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكل مقام مقال. هذا خلاصة كلام علمائنا، منهم من المعاصرين العلاّمة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني جزاهم الله عن

27- الحذر من الفتوى بغير علم، ومجانبة التّقدّم بين يدي العلماء، وترك التسرّع في الفتوى والتّأليف والتّدريس قبل النّضج في العلم، فالفتوى مَرْقى صعب ولها شروط كثيرة، وقد كان السّلف الصالح يتدافعون الفتوى حتى ترجع إلى الأوّل[1].

وقد قيل: العلمُ ثلاثةُ أشبار، مَن دخل في الشّبر الأوّل تكبّر، ومَن دخل في الشبر الثاني تواضع، ومَن دخل في الشّبر الثالث علم أنه ما يَعلم[2].

وقال ربيعة رحمه الله: «ولَبَعْضُ من يُفتي هٰهنا أحقّ بالحبس من السُّرَّاق»[3].

وقال عطاء بن أبي رباح رحمه الله: «لا أدري»: نصف العلم. و«يقال» نصف الجهل»[4].

قال ابن القيّم رحمه الله: «وكان السّلف من الصحابة والتّابعين يكرهون التّسرّعَ في الفتوى، ويودّ كلّ واحد منهم أن يكفيه إيّاها غيره، فإذا رأى أنها قد تعيّنت عليه بذَلَ اجتهادَه في معرفة حكمها من الكتاب والسّنة أو قول الخلفاء الرّاشدين ثم أفتى»اهـ[5].

قال الله تعالى: ﴿**قل ما أسألُكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلّفين**﴾[ص:86]، أيْ: وما أزيد على ما أرسلني الله تعالى به، ولا أبتغي زيادة عليه، بل ما أُمرت به أدّيته لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه الله عزّ وجلّ والدّار الآخرة.

قال سفيان الثّوري: عن الأعمش، ومنصور، عن أبي الضّحى عن مسروق قال: أتينا عبدَ الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يا أيّها الناس من علم شيئًا فليقل به، ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرّجُل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن اللهَ عزّ وجلّ قال لنبيّكم ﷺ: (**قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين**) أخرجاه من حديث الأعمش به»[6].

الإسلام والمسلمين خيرًا. وقد فصّلتُ بعض الشيء في هذه المسألة في رسالتي الهداية إلى أنّ طلب العلم فرض عين ومنه فرض كفاية، وذكرتُ ثمّة مراجع هذه المسألة (ص 57- 75) والحمد لله على توفيقه وأسأله المزيد من فضله.

[1] - مختصر منهاج القاصدين (ص 22) بتصرّف.

[2] - حلية طالب العلم (ص 57).

[3] - إعلام الموقّعين (4/ 207) بواسطة كتاب التّعالم لبكر أبو زيد (ص 32).

[4] - إعلام الموقّعين (4/ 207) بواسطة كتاب التّعالم (ص 33).

[5] - إعلام الموقّعين (ص 39).

[6] - تفسير ابن كثير (7/ 79).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنّ رسولَ الله ﷺ قال: **«لا يَقُصُّ على الناس إلاّ أميرٌ أو مأمورٌ أو مُرَاء»**[1].

وعن عبد الله بن عون عن ابن سيرين قال: قال حذيفة رضي الله عنه: إنما يُفتي الناسَ أحدُ ثلاثة: من يعلم ما نُسخ من القرآن، أو أمير لا يجد بُدًّا، أو أحمق متكلّف» قال: فربّما قال ابن سيرين: فلستُ بواحد من هذين، ولا أحبّ أن أكون الثالث[2].

وقال سحنون رحمه الله: إنّا لله! ما أشقى المفتي والحاكم[3]، ثم قال: ها أنا ذا يُتعلّم منّي ما تُضرب به الرّقاب وتُوطَأ به الفروج، وتؤخذ به الحقوق. أَمَا كنتُ عن هذا غنيًّا؟![4].

تنبيه: من شروط نيل العلم: طولُ الزّمان في طلبه ! ورحم الله الإمام الشافعي الذي قال:

أخي لن تنالَ العلمَ إلاّ بستّةٍ ... سأُنبيك عن تفصيلها ببيانِ
ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبُلغةٌ ... وإرشادُ أستاذٍ وطولُ زمانِ

وقال أيضًا: إذا تصدّرَ الحدَث فاته علمٌ كثيرٌ»[5].

---

[1] – رواه أحمد، وابن ماجة. وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (7754).
أيْ: لا يتكلّم عليهم بالقصص والإفتاء (إلاّ أمير): أي الحاكم وهو الإمام وكانوا هم المفتين. (أو مأمور) مأذون له في ذلك من الأمير. (أو مراءٍ) وهو من عداهما. سمّاه مرائيا لأنه طالب للرّياسة متكلّف ما لم يكلّفه الشّارع حيث لم يؤمر بذلك، لأنّ الإمامَ نُصب للمصالح، فمن رآه لائقًا نصبه للقصص أو غير لائق فلا. (عن فيض القدير للمناوي 6/ 592) ببعض تصرّف.

[2] – إعلام الموقّعين (ص 39).

[3] – الحاكم: القاضي.

[4] – جامع بيان العلم (2/ 1127).

تنبيه مهمّ: ذكرَ بعضُ أهل العلم: أنّ الدّعوة إلى الله تعالى ممّن هو أهل لا تحتاج إلى إذن من وليّ الأمر، قال تعالى: ﴿وداعيًا إلى الله بإذنه﴾[الأحزاب:46]، وأمّا الإفتاء والتّدريس والخطابة في المساجد ونحوها فلا بدّ فيها من إذن وليّ الأمر المسلم.

[5] – فتح الباري (1/ 166) نقلاً عن كتاب العلم للأمين الحاج (ص 55).

وعن ابن عبّاس ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ:«البركةُ مع أكابركم»[1].

وعن أبي أميّة الجمحي ﷺ أنّ رسولَ الله ﷺ قال:«إنّ من أشراط السّاعة ثلاثًا: إحداهنّ أن يلتمس العلم عند الأصاغر»[2].

ومعنى الأصاغر:

1- غير الصحابة في زمن وجود الصحابة (قاله ابن مسعود ﷺ)[3].

2- صغير السّن (قاله عمر بن الخطاب ﷺ)[4].

3- أهل البدع وأهل الرّأي والظّنون ومن لا علم عنده (قاله عبد الله بن المبارك)[5].

ولا يغرّنّك -يا طالب العلم- قول من يقول لك: إنّ الساحةَ الدعوية -اليوم- خالية من العلماء فاملأْها أنتَ بالتّدريس والإفتاء !!

أقول: احذرْ هذا الكلام وأَجِبْه بقول ابن قدامة ﷺ:«وإياك أن تشتغل بما يُصلح غيرك قبل إصلاح نفسك» وبقوله:«فإن مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه، ومَثلُه كمثل من دخلت العقارب تحت ثيابه وهو يذبّ الذّباب عن غيره»اهـ[6].

وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ: من عمِل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح[7].

فإن قال قائل: يُفهم من الكلام السابق منع نبوغ الشّباب، وهذا عمر بن الخطّاب ﷺ كان يُدخل ابنَ عبّاس ﷺ إلى مجلس الشّورى وهو شابّ، وهذا الإمام الشافعي ﷺ، قد أَذِنَ له شيخه مسلم بن خالد الزّنجي بالإفتاء وعمره خمسَ عشرةَ سنة، وهذا ابن تيمية

---

[1] - رواه ابن حبّان، والحاكم وغيرهما. وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (2884).

[2] - رواه ابن المبارك في الزّهد، وعنه أبو عمرو الدّاني في الفتن والطبراني في الكبير، وغيرهم. وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (2207).

[3] - رواه عبد الرّزاق، وابن المبارك، وغيرهما وإسناده صحيح كما قال أبو الأشبال الزّهيري.

[4] - رواه القاسم بن أصبغ بسند صحيح كما في الفتح (13/ 301) والصحيحة (6/ 1003).

[5] - ذكره أبو عبيد كما في جامع بيان العلم (1/ 612).

[6] - مختصر منهاج القاصدين (ص 17).

[7] - جامع بيان العلم (1/ 131).

بدأ الإفتاء والتّدريس مبكّرًا، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. قيل في الجواب: لا يُنكر ذلك، لكن ينبغي ملاحظة الظّروف والبيئة التي نشأ فيها أولئك النّابغون فقد كانوا يعيشون وسط جوّ علميّ بين ظهراني العلماء الفحول وهم الذين أجازوا هؤلاء النّابغين بالفتوى، فالصّحابي الجليل ابن عبّاس، والإمام الشافعي، والإمام ابن تيميّة، وغيرهم لـمّا أفتوا -وهم صغار السّنّ- كانوا تحت رقابة العلماء. وثمّة ملاحظة مهمّة وهي: أنّ نبوغَ أمثال هؤلاء لا يُجعل قاعدة عامّة، بل الأصل في الفتوى أن لا يقوم بها الطّالب إلاّ بعد بلوغ درجتها بعد طول زمان، والله المستعان[1].

28- **الحذر من الأغلوطات**: وهي شداد المسائل التي يُعترض بها على العلماء ليُمتحنوا بها، وكذلك التّعمّق والتّكلّف فيما لا حاجة للإنسان إليه من المسائل، وتوليد المسائل قبل وقوعها، ثم الاشتغال بتكلّف الجواب على ذلك. قال الله تعالى:﴿**يا أيّها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياءَ إن تُبدَ لكم تسُؤكُم**﴾[المائدة:101].

وعن **أبي ثعلبة الخشني** ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ:«**إنّ اللهَ فرضَ فرائضَ فلا تضيّعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكتَ عن أشياء رحمةً لكم غيرَ نسيان فلا تبحثوا عنها**»[2].

عن **أبي الدّرداء** ﵁ عن النبيّ ﷺ قال:«**ما أحلّ اللهُ في كتابه فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا**». ثم تلا هذه الآية ﴿**وما كان ربُّك نسيًّا**﴾[مريم:64][3].

---

[1] - تنبيه: إنّ طلبَ العلم من الكتب يأخذ وقتًا أطول من طلبه من أفواه الرّجال، لأنّ العالِمَ يجمع للطّالب فوائد وعلومًا كثيرة في جلسات قليلة، وهذا من بركة العلم على أيدي أهل العلم جزاهم الله خيرًا.

[2] - رواه الطّبراني، والدّار قطني، والبيهقي في السّنن، وغيرهم. وإسناده ضعيف لأنه منقطع بين مكحول وأبي ثعلبة، واختُلف في رفعه ووقفه. لكن معناه صحيح، لأنّ معناه جاء مرفوعًا من وُجوه أُخَر عن أبي الدّرداء، وسلمان الفارسي، وأثر عن ابن عبّاس ﵄. وقد ذكرتُها هنا بعد الحديث.

[3] - رواه البزّار، والحاكم وصحّحه، ووافقه الذّهبي، والألباني كما في التّعليقات الرّضية على الرّوضة النّديّة (3/ 24).

وعن **سلمان الفارسي** ﷺ قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن السّمن، والجبن والفراء! فقال: «**الحلالُ ما أحلّ الله في كتابه، والحرامُ ما حرّم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه**»[1].

وعن **ابن عبّاس** رضي الله عنهما قال: كان أهلُ الجاهليّة يأكلون أشياء، ويتركون أشياء تقذّرًا، فبعث اللهُ نبيّه ﷺ، وأنزل كتابَه، وأحلّ حلالَه، وحرّم حرامَه. فما أحلّ فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو. وتلا: ﴿**قل لا أجِدُ فيما أوحيَ إليَّ محرّمًا على طاعم يطعمه إلاّ أن يكون ميتةً أو دمًا مسفوحًا أو لحمَ خنزيرٍ فإنه رجسٌ أو فسقًا أُهلَّ لغير الله به فمن اضطرّ غير باغٍ ولا عادٍ فإنّ ربك غفور رحيم**﴾[الأنعام:145][2].

وعن **المغيرة بن شعبة** ﷺ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنّ اللهَ تعالى حرّمَ عليكم: عقوق الأمّهات، ووَأْدَ البنات، ومنعًا وهات، وكَرِهَ لكم: قيل وقال، وكثرة السّؤال، وإضاعةَ المال**»[3].

وعن **ابن عبّاس** رضي الله عنهما قال: «إنّما هو كتاب الله وسنّة رسوله، فمن قال بعد ذلك برأيه فما أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيّئاته»[4].

وقال **عمر بن الخطّاب** ﷺ وهو على المنبر: أُحَرِّج بالله على كلّ امرئ سأل عن شيء لم يكن، فإنّ اللهَ عزّ وجلّ قد بيّن ما هو كائن»[5].

وعن **ابن عمر** ﷺ قال: «لا تسألوا عمّا لم يكن، فإنّي سمعت عمر يلعن من سأل عمّا لم يكن»[6].

---

[1] – رواه التّرمذي، وابن ماجة، وغيرهم. وهو حديث حسن كما في صحيح الجامع برقم (3195).

[2] – موقوف، رواه أبو داود، وصحّحه الحاكم، ووافقه الذّهبي. وقال الألباني في تعليقه على صحيح سنن أبي داود (3800): "صحيح الإسناد" اهـ.

[3] – متّفق عليه.

[4] – جامع بيان العلم (2/ 1046).

[5] – جامع بيان العلم (2/ 1061).

[6] – جامع بيان العلم (2/ 1055).

وعن يزيد بن أبي حبيب أنّ عبد الملك بن مروان سأل ابنَ شهاب فقال له ابنُ شهاب: أكان هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ قال: لا، قال: فَدَعْهُ، فإنه إذا كان، أتى الله عزّ وجلّ له بفرَج»[1].

وقال الأوزاعي رحمه الله:«إذا أراد اللهُ عزّ وجلّ أن يحرم عبدَه بركة العلم ألقى على لسانه الأغاليط»[2].

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لأحد التّابعين سأله: ويحك يا فلان سَلْ تفقّهًا ولا تَسَل تعنّتًا.

29- نشر العلم وإظهاره، والدّعوة إلى الله تعالى بأسلوب حسن متى ما كان المسلم أهلاً لذلك، قال الله تعالى:﴿**والمؤمنون والمؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزّكاة ويطيعون اللهَ ورسولَه أولئك سيرحمهم الله إنّ اللهَ عزيز حكيم**﴾[التوبة:71].

وقال الله تعالى:﴿**قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾[يوسف:108].

وعن سهل بن سعد السّاعدي رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:«**فوالله لأَنْ يهدي الله بك رجُلاً واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمُرُ النّعم**»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال:«**مَن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا. ومَن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبِعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»[4].

وقال الإمام البخاري رحمه الله: فإنّ العلمَ لا يهلك حتى يكون سرّا[5].

---

[1] - جامع بيان العلم (2/ 1067).

[2] - جامع بيان العلم (2/ 1073).

[3] - رواه البخاري، ومسلم. قال النّووي في شرح مسلم (15/ 178- 179) وفي هذا الحديث بيان فضيلة العلم، والدّعاء إلى الهدى، وسنّ السّنن الحسنة»اهـ.

[4] - رواه أحمد، ومسلم، وأصحاب السّنن الأربعة.

[5] - صحيح البخاري في كتاب العلم، باب كيف يُقبض العلم.

وقال عبد الله بن عبّاس ﵄:«حَدِّثِ النّاسَ كلّ جمعة مرّة، فإن أبيْتَ فمرّتين، فإن أكثرتَ فثلاث مرّات، ولا تُمِلّ النّاسَ هذا القرآن. ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث مِن حديثهم، فتقصّ عليهم، فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصِتْ، فإذا أَمَروك فحدِّثهم وهم يشتهونه، وإيّاك والسّجع في الدّعاء فإنّي عهدت رسولَ الله ﷺ وأصحابَه لا يفعلون ذلك»[1].

قال الحافظ ابن حجر ﵀ في فوائد هذا الأثر:«وفيه كراهية التّحديث عند من لا يُقبل عليه، والنّهي عن قطع حديث غيره، وأنّه لا ينبغي نشر العلم عند من لا يحرص عليه، ويُحدِّث من يشتهي أن ينتفع به»اهـ[2].

30- **وعليه أن يراعي -في الدّعوة إلى الله-:**

1- الإخلاص.

2- غزارة العلم والدّقّة والضّبط في المعلومات.

3- عزو الأقوال إلى أصحابها لأنه من بركة العلم.

4- الدّعوة إلى كل الإسلام مع تقديم الأهمّ فالمهمّ.

5- التّبرّع بالفتيا والتّعليم إلاّ إذا احتاج إلى رزق من بيت المال.

6- تحديث النّاس بما يعقلون وبما يفهمون، فيعلّمهم ما هم في حاجة إليه، ولا يُلقي عليهم كلّ ما يعلمه.

7- الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق والسّنّة، والحذر من الفتن والبلبلة.

8- الحِلم والثّبات ومجانبة التّسرّع والحِدّة، والرّجوع إلى الحقّ في حال الخطأ.

9- مشاورة أهل العلم.

10- اجتناب الغرائب والشّواذّ من العلم.

11- الدّلالة على العلماء وطلاّب العلم الذين يفيدون النّاس بالحقّ[3].

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه.

[2] - فتح الباري.

[3] - انظر تفصيل هذه النّصائح في كتاب النّبذ (ص 191- 193- 205- 207- 211- 219- 220- 222- 228- 230- 232- 233).

31- كتمان بعض العلم للمصلحة:

عن **أنس بن مالك** ﷺ أنّ النبيّ ﷺ -ومعاذ ﷺ رديفه على الرّحْل- قال: «**يا معاذ ابن جبل**» قال: لبّيك يا رسول الله وسعديك. قال: «**يا معاذ**» قال: لبّيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثًا) قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمدًا رسول الله، صِدقًا من قلبه إلاّ حرّمه الله على النار**» قال: يا رسول الله، أفلا أُخبِر به الناسَ فيستبشروا ؟ قال: «**إذن يتّكلوا**». فأخبر بها معاذ عند موته تأثّمًا»[1].

وعن **معاوية بن صالح** قال: حدّثني أبو فروة أنّ عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول: «لا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تضعه عند غير أهله فتجهل، وكن طبيبًا رفيقًا يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع»[2].

فإن قيل: أَلَمْ يقل رسولَ الله ﷺ: «**مَن سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله يومَ القيامة بلجام من نار**»[3].

قيل في الجواب: هناك رواية لهذا الحديث بزيادة ترفع ما استشكلتَه وهي: «**مَن كتمَ علمًا عن أهله، أُلجم يومَ القيامة لجامًا من نارٍ**»[4].

ولَمَّا أراد عمر بن الخطّاب ﷺ أن يخطب خطبة في موسم الحجّ في شأن الخلافة قال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإنّ الموسم يجمع رعاع الناس وغوغائهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قُربك حين تقوم في الناس. وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يُطَيِّرُها كلّ مطيِّر[5]، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأَمْهِلْ حتى تقدم المدينة فإنّها دار الهجرة والسّنة، فَتَخلُصَ بأهل الفقه وأشرافِ الناس، فتقول ما

---

[1] - رواه البخاري، ومسلم.

[2] - جامع بيان العلم (1/ 447).

[3] - رواه أحمد، وأصحاب السّنن الأربعة، والحاكم. وهو صحيح كما في صحيح الجامع برقم (6284).

[4] - رواه ابن عديّ في الكامل، وابن حبّان، والحاكم. وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع برقم (6517).

[5] - أيْ يحملونها على غير وجهها ولا يعرفون المراد منها.

قلتَ متمكّنًا، فَيَعي أهلُ العلم مقالتك، ويضعونَها على مواضعها. فقال عمر: أَمَا والله – إن شاء الله– لأقومنّ بذلك أوّلَ مقامٍ أقومه بالمدينة...» الحديث[1].

وقال عليّ ﷺ: حدّثوا الناسَ بما يعرفون، أتحبّون أن يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه ؟![2].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: ما أنت محدّثٍ قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلاّ كان لبعضهم فتنة»[3].

قال القاضي عياض -في ضابط ما لا يُحدّث به-:«وذلك فيما ليس تحته عمل، ولا فيه حدّ من حدود الشّريعة، ومثل هذا عن الصّحابة ﷺ كثير في ترك الحديث بما ليس تحته عمل، ولا تدعو إليه ضرورة، أو لا تحمله عقول العامّة، أو خشيت مضرّته على قائله أو سامعه»اهـ[4].

وقال الحافظ ابن حجر ﷺ:«وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوّي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يُخشَى عليه بظاهره مطلوب، والله أعلم»اهـ[5].

32- الحذر من تتبّع ونشر الفتاوى الغريبة الشّاذّة التي انفرد بها بعض أهل العلم مع جلالة قدرهم «هذا إن صحّ النقل عنهم، أو لم ينقلب فهمُ من نقلها عنهم، لأنّ عند التحقيق يتبيّن الغلط في نسبة كثير منها إليهم»[6].

قال الإمام ابن تيميّة ﷺ:«فما أكثر ما يُحكَى عن الأئمة ما لا حقيقة له»[7]اهـ.

والخطأُ في النقل عن الأئمة له أسباب كثيرة، منها:

أ- أن يُحكَى عنهم ما لم يصحّ.

---

[1] – رواه البخاري في صحيحه برقم 6830، ورواه مسلم مختصرًا.

[2] – رواه البخاري في صحيحه معلّقًا وموصولاً.

[3] – أخرجه مسلم في مقدّمة صحيحه.

[4] – شرح النّووي لصحيح مسلم.

[5] – فتح الباري (1/ 182).

[6] – حلية طالب العلم.

[7] – الفتاوى الكبرى (6/ 95) بواسطة النّبذ (ص 209).

ب- أن يَنقل شخص ما فهمه هو عنهم ليس ما قالوه بألفاظهم.

ج- أن ينقل عنهم كلامًا خرج على محامل وأسباب معينة فيعمّم قوْلهم.

د- أن ينقل عنهم ما قالوه في مقام المناظرة والمدافعة والمخاصمة مما يخالف المعهود من أقوالهم مما كان ينبغي الإعراض عنه واطّراحه[1]، أمّا ما صحّ عن بعض هؤلاء الأئمة من بعض الأقوال الغريبة والفتاوى الشّاذّة فيجب تركها، ولا يجوز ذكرها إلاّ للتّعجّب أو التحذير منها.

قال الإمام الذهبي في فقه داود الظاهري:«لا ريب أنّ كل مسألة انفرد بها، وقُطع ببطلان قوله فيها، فإنها هَدْرٌ، وإنما نحكيها للتعجب. وكل مسألة له، عَضَدَها نصٌّ، وسبقَه إليها صاحبٌ أو تابعٌ، فهي من مسائل الخلاف، فلا تُهدَر....ونحن: فَنَحكي قول ابن عباس في المتعة، وفي الصرف، وفي إنكار العول، وقولَ طائفة من الصحابة في ترك الغُسل من الإيلاج، وأشباه ذلك، ولا نُجَوِّزُ لأحد تقليدهم في ذلك»اهـ[2].

ونقل الذّهبي أيضًا في قصّة إسماعيل القاضي أنه دخل مرّة على المعتضد العباسي قال:«دخلتُ مرّةً، فدفع إليَّ كتابًا، فنظرتُ فيه، فإذا قد جُمع له فيه الرّخص من زلل العلماء !! فقلتُ: مصنِّف هذا زنديق. فقال: ألم تصحّ هذه الأحاديث ؟ قلتُ: بلى، ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح الغناء، وما من عالِمٍ إلاّ وله زلَّةٌ، ومن أخذ بكلّ زلل العلماء ذهب دينُه. فأمرَ بالكتاب فأُحرق»اهـ[3].

وقال سليمان التّيمي رحمه الله:«إنْ أخذت برخصة كلّ عالم اجتمع فيك الشرّ كلُّه»اهـ[4].

---

[1] - النّبذ (ص 209) بتصرّف.

تنبيه: ما يفعله بعض الناس من الحكم على بعض أهل العلم بالبدعة كالإرجاء وغيره من خلال المناظرات والمنازعات، دليل على عدم دقّة هؤلاء الحاكمين فليتّقوا الله وليقولوا قولاً سديدًا.

[2] - السّير (13/ 107- 108).

[3] - السّير (13/ 465).

[4] - جامع بيان العلم (2/ 927).

وقال ابن القيّم رحمه الله: «وها هنا نكتة ينبغي التفطّن لها، وهي أنّ اللهَ سبحانه لما سبق في قضائه وقدره وعلمه السابق أن الأمة لا بدّ أن تختلف، ويكون فيها من يستحلّ بعض ما حرّمه الله بالتأويل، جعل من المختلفين سلفًا صالحًا خفي عليهم بعض ما جاء به رسوله للاشتباه والخفاء، كما يكون من خفيت عليه القبلة فصلّى بالاجتهاد إلى غير جهتها مطيعًا لله ورسوله، فلولا اختلاف المتقدّمين لهلك المتأخّرون، ومن كمال نعمته وتمام رحمته أن جعل في الأمة من يعرف ما خفي على الآخر من الصواب، وكذلك هذا أيضًا قد يخفى عليه الصواب في شيء آخر ويعرفه ذلك، ووقوع مثل هذا التأويل ممن وقع منه من الأئمة المتبوعين أهل العلم والإيمان صار من أسباب المحنة التي امتحن الله بها عباده وفتنتهم بها»اهـ[1].

وقال أيضًا: «وهذا التّأويل من صالحي الكوفيّين في النبيذ المسكر وإن كان خمرًا، وكذلك المتأوّلون من صالحي أهل مكة في المتعة والصرف وإن كان سبيلهما سبيل الزّنا والرّبا، وهم أبعد الناس عن ذلك، وكذلك المتأوّلون في حلّ بعض ما حرّمه الشّارع من الأطعمة من أهل المدينة وغيرهم، وكذلك المتأوّلون في القتال في الفتنة، إلى أمثال ذلك مما تأوّل فيه قوم من أهل العلم والدّين من مطعوم أو مشروب أو منكوح أو مسموع أو عقد ونحو ذلك مما قد عُلم أن الله ورسوله حرّمه لم يجزْ اتّباعهم في ذلك، وإن كان مغفورًا لهم أو من السّعي الذي يؤجرون عليه لاجتهادهم أجرًا واحدًا، فالرّبّ سبحانه يمحو السيئات بالحسنات ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات»اهـ[2].

تنبيه: هل مقالة: (**لا إنكار في مسائل الخلاف**) صواب أم خطأ؟

هذه المقالة مشهورة بين كثير من أهل العلم المتأخّرين، وقد أخذها بعضُهم مطلقه وهذا خطأ، والصّواب تقييدها.

وقد أنكر بعض الصحابة على بعض في مسائل خلافية وتناظروا، فانظر على سبيل المثال: مناظرة ابن عبّاس للحرّ بن قيس في قصّة صاحب موسى عليه السلام والخَضِر في كتاب العلم من صحيح البخاري. وانظر فيه أيضًا في كتاب التيمّم مناظرة أبي موسى

---

[1] – الكلام على مسألة السّماع (ص 329) بواسطة النّبذ (ص 111).

[2] – الكلام على مسألة السّماع (ص 327– 328) بواسطة النّبذ (ص 111– 112).

الأشعري لعبد الله بن مسعود في حكم تيمّم الجنب. والأمثلة على هذا كثيرة. وقد شرح الإمام ابن القيّم رحمه الله هذه المقالة وقيّدها فقال: «وقولهم "إنّ مسائلَ الخلاف لا إنكارَ فيها" ليس بصحيح، فإن الإنكارَ إمّا أن يتوجّه إلى القول والفتوى أو العمل، أمّا الأوّل فإذا كان القول يخالف سنّة أو إجماعًا شائعًا وجب إنكاره اتفاقًا، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدّليل إنكار مثله، وإمّا العمل على خلاف سنّة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار، وكيف يقول فقيه: لا إنكار في المسائل المختلف فيها، والفقهاء من سائر الطّوائف قد صرّحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتابًا أو سنّة، وإنْ كان قد وافق فيه بعض العلماء ؟ وأمّا إذا لم يكن في المسألة سنّة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مَسَاغ لم تنكر على من عمل بها، مجتهدًا أو مقلّدًا وإنما دخل هذا اللّبس من جهة أنّ القائل يعتقد أنّ مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم.

والصوابُ ما عليه الأئمة أنّ مسائلَ الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوبًا ظاهرًا مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغُ فيها -إذا عدم فيها الدّليل الظاهر الذي يجب العمل به- الاجتهاد لتعارض الأدلّة أو لخفاء الأدلة فيها، وليس في قول العالم: "إن هذه المسألة قطعية أو يقينيّة، ولا يسوغ فيها الاجتهاد" طعْنٌ على من خالفها، ولا نسبة له إلى تعمّد خلاف الصواب، والمسائل التي اختلف فيها السّلف والخلف وقد تيقّنّا صحّة أحد القولين فيها كثير» اهـ[1].

الفصل الثّاني: كيف تطلب العلم ؟

1 – الحِرصُ على حفظ كتاب الله تعالى قبل كلّ شيء.

2 – الحرصُ بعد ذلك على حفظ ما استطاع من الأحاديث الجامعة للأحكام والأخلاق وأصول الإسلام مثل الأربعين النووية، وعمدة الأحكام، وبلوغ المرام، ونحو ذلك.

3 – حفظ مختصر في كلّ فنٍّ بعد ضبطه على شيخ متقن.

4 – ثم تفهّم معانيه على شيخ ليجمع الطّالب بين الحفظ والفهم.

---

[1] – إعلام الموقّعين (ص 645).

5- عدم الانتقال من مختصر إلى آخر بلا موجب لأنه من باب الضّجَر.

6- عدم الاشتغال بالمطوّلات وتفاريع المصنّفات قبل الضّبط والإتقان لأصل ذلك العلم.

7- ثم التّرقّي إلى ما هو أكثر فوائد وأكمل مسائل.

8- ثم مطالعة مؤلّفات المحقّقين من أهل ذلك الفنّ.

9- اقتناص الفوائد والضّوابط العلميّة دائمًا في أثناء الطّلب والمطالعة، فإنّ العلمَ صيدٌ والكتابة قَيْدٌ، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**قيدُوا العلمَ بالكتاب**»[1].

وقال الشّعبي رحمه الله: «إذا سمعتَ شيئًا فاكتبه ولو في الحائط»[2].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «ربّما كنت أماشي عبد الله بن المبارك فأذاكره بالحديث فيقول: لا تبرح حتى أكتبه»[3].

فعليك -يا طالب العلم- أن تنظّم وقتَك فتمشي على الترتيب الصّحيح فتأخذ العلم الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام. قال الإمام الزّهري رحمه الله ليونس بن يزيد: يا يونس: لا تكابر العلم، فإنّ العلمَ أودية، فأيّها أخذتَ فيه قطع بك قبل أن تبلّغه، ولكن خذه مع الأيام واللّيالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإنّ مَنْ رامَ أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام»اهـ[4].

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: «أوّلُ العلم: النّية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النّشر»[5].

قال ابن عبد البرّ رحمه الله: «طلب العلم درجات ومناقل ورُتَب لا ينبغي تعدّيها، ومن تعدّاها جملة فقد تعدّى سبيل السّلف رحمهم الله تعالى. ومن تعدّى سبيلهم عامدًا

---

[1] - رواه لوين، وأبو نعيم، وابن عبد البرّ، والطّبراني، وغيرهم. وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع (4434).

[2] - رواه أبو خيثمة في العلم (برقم 146) كما في النّبذ (97).

[3] - رواه أبو نعيم في الحلية (9/ 3) كما في النّبذ (98).

[4] - جامع بيان العلم (1/ 431).

[5] - جامع بيان العلم (1/ 476).

ضلّ، ومن تعدّاه جملة زلّ»اهـ[1].

الفصل الثّالث: وقتُ طلب العلم:

1- من صلاة الفجر إلى طلوع الشّمس الاشتغال بأذكار الصباح ثم تلاوة أو حفظ ما تيسّر من القرآن الكريم.

2- بعد طلوع الشّمس إلى ارتفاع الضّحى الاشتغال بالتّعلّم والمطالعة والاستفادة.

3- ثم تكون القيلولة قبل صلاة الظهر (وإن جُعِلتْ بعد صلاة الظهر فلا بأس).

4- ثم الاشتغال بالتّعلّم والاستفادة عَقِبَ كلّ صلاة مفروضة. هذا إذا كان الطّالب متفرّغًا لطلب العلم وهو مكفي من ناحية المال كفاية شرعيّة كوجود منحة من مدرسة أو جامعة، أو وقف خيري، أو والد منفق بإحسان، ونحو ذلك من الوسائل المشروعة كما سبق تحت الرّقم 6.

وأمّا إذا كان الطّالب ذا حرفة يكسب قوّته منها فعليه بها، فإذا حصل له ما يكفيه عاود المطالعة والاستفادة، وليداوم على ذلك وإن قلَّ. فقد قال النبي ﷺ:«أَحَبُّ الأعمال إلى الله أدومُها وإن قلّتْ»[2].

وعلى الطّالب أن يكون معتدلاً في طعامه، ونومه، وقضاء حوائجه، وقد كان السّلف لا ينامون إلاّ غلبة، لأنّ العلمَ تعطيه كلَّك ليعطيك بعضَه. لكن الطّباع تتفاوت والأجسام تختلف ولا يكلّف الله نفسًا إلاّ وسعها، وقد قال رسول الله ﷺ:«**صُمْ وأفطر، وقُمْ ونَمْ، فإنّ لجسدك عليك حقّا، وإنّ لعينك عليك حقّا، وإنّ لزَوْرك عليك حقّا، وإنّ لزوجك عليك حقّا**»[3]. ومعنى لزَوْرك: لضيفك.

وعلى الطّالب المجدّ الذي شغل أوقاته في العلم[4]، أن لا يغفل عن إجمام النفس وإراحتها، والتّرويح عن القلب ساعة فساعة.

---

[1] - جامع بيان العلم.

[2] - متّفق عليه.

[3] - رواه البخاري واللّفظ له، ومسلم.

[4] - أمّا المضيّع لأوقاته في غير العلم فلا يشمله هذا التّنبيه !!

قال عليّ بن أبي طالب ﷺ: «أَجِمُّوا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنها تملّ كما تملّ الأبدان»[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح حديث ابن مسعود ﷺ:**«كان النبيّ ﷺ يتخوّلنا بالموعظة في الأيام كراهة السّآمة علينا»**[2]. ويُستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجدّ في العمل الصّالح خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين: إمّا كل يوم مع عدم التّكلّف، وإمّا يومًا بعد يوم، فيكون يوم التّرك لأجل الرّاحة ليُقبل على الثاني بنشاط، وإمّا يومًا في الجمعة. ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضّابط: الحاجَة مع مراعاة وجود النشاط»اهـ[3].

الفصل الرّابع: تقسيم موادّ الدّراسة:

في الجدول الآتي أربعون حصّة -تقريبًا- وتكونُ الدّراسة عشر ساعات في اليوم مدّة ستة أيام، فالمجموع: **ستّون ساعة**. وهذا مثال للتقريب فقط، وعلى الطالب أن يزيد أو ينقص من الوقت والحصص على حسب أشغاله وأحواله. فيستطيع أن يدرس -مثلاً- ساعتين في اليوم فقط، بعد عودته إلى البيت من أشغاله، إنما العبرةُ بالعمل الدّائم ولو كان قليلاً، والله المستعان.

* * *

[1] - جامع بيان العلم (1/ 433).

[2] - رواه البخاري، ومسلم.

[3] - فتح الباري (1/ 133).

تنبيه: ومن المفيد ممارسة رياضة نافعة تُذهب الكسل، وتزيل الفضلات الضّارّة، وتنشّط الجسم والذّهن، خاصّة في زماننا هذا الذي كثُر فيه التّنعم والخمول، وتنوّع فيه الطعام، مع الجهل بكثير من الطرق الصحيحة للمحافظة على الصّحة.

جدول تقريبي:

الأيام	المواد					
السّبت	نحو	توحيد	فقه مقارن	تفسير آيات الأحكام	الجرح والتّعديل	- الملل والنِّحل - البلاغة
الأحد	نحو	تفسير	أصول الفقه	- فقه الدّعوة - التّحـذير من البدع	فقه مذهبي	- دفاع عن السنّة - آداب المناظرة[1]
الإثنين	توحيد	تفسير	- كتب التخريج - التّراجم	مصطلح الحديث	الجرح والتّعديل	- اللّغة - السّياسة الشّرعية
الثلاثاء	- صرف - أخلاق	- آداب العلم - آداب الإفتاء	أصول الفقه	- علوم القرآن - تجويد	فقه مقارن	- الحذر من مبادئ هدّامة - الأدب والشّعر
الأربعاء	سماع الأحاديث	- التاريخ - السّيرة النّبوية	شرح الحديث النبوي	- تاريخ الفقه - حكمة التّشريع	- مصطلح الحديث - طِبٌّ نبوي	الأحاديث الضّعيفة

[1] - المكانُ الذي فيه مادّتان معناه أنّهما تُدرَسان بالتّناوب ففي أسبوع تدرس مادّة: دفاع عن السّنة. وفي آخر مادّة آداب المناظرة.....وهكذا.

الجدول المفصَّل لكتب الدّراسة على المراحل الثّلاثة:

يبدأ الطّالب بدراسة كتب المرحلة الأولى، فإذا جاوزها انتقل إلى كتب المرحلة الثانية، ثم الثالثة. ثم إذا أراد التّخصّص في فنّ ما، انكبَّ على الكتب المطوّلة فيه والمفصّلة له، مع دوام التضرّع إلى الله تعالى في كلّ وقت بأن يرزقه الإخلاص، والعلم النافع، والعمل الصالح.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
آداب طلب العلم	1- حلية طالب العلم. 2- التّعالم. 3- مختصر الجامع لآداب الرّاوي وأخلاق السّامع لبكر أبو زيد. 4- كتاب العلم للشيخ محمد العثيمين. باعتناء عصام السّيد السّهيلي.	1- النّبذ في آداب طلب العلم لحمد بن إبراهيم العثمان. 2- الرّياء وأثره السّيّء في الأمّة. 3- أدب الإملاء والاستملاء للسّمعاني، تحليل وتحقيق شفيق محمد زيعور. 4- أدب الطّلب للشوكاني.	1- منطلقات طالب العلم لمحمد حسين يعقوب. 2- الجامع لآداب الرّاوي وأخلاق السّامع للخطيب البغدادي. 3- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله لأبي عمر بن عبد البرّ بتحقيق أبي الأشبال الزّهيري.
أحكام التّجويد	1- سماع القرآن الكريم من شيخ قارئ، أو قراءته عليه، أو حضور حلقات التّلاوة الصّحيحة. 2- دراسة كتاب بدع القرّاء لبكر بن عبد الله أبو زيد. 3- التّجويد الميسّر لعبد العزيز القارئ مع	1- رياضة اللّسان شرح تلخيص لآلئ البيان للشيخ العلامة السمنودي. 2- الاستماع إلى القرّاء المجوّدين أصحاب الأصوات الحسنة، والقراءات الشرعية، ومتابعتهم بالنظر في المصحف.	1- الشّاطبية مع شروحها على شيخ متقن. 2- البدور الزّاهرة في القراءات العشر المتواترة، تأليف عبد الفتّاح القاضي.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
	شرحه بصوته في أشرطة. 4- قواعد التّجويد لعبد العزيز القارئ.	3- هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري لعبد الفتاح المرصفي.	
النّحو	1- قواعد النّحو بأسلوب العصر، تأليف محمد بكر إسماعيل. 2- الآجروميّة وشرحها المسمّى التّحفة السّنيّة لمحمد محي الدّين عبد الحميد، وشرحها أيضًا الشيخ محمد بن صالح العثيمين في أشرطة، وكتاب مطبوع.	- ملخّص قواعد اللّغة العربية، فؤاد نعمة. 2- منظومة الحريري المسمّاة: ملحة الإعراب.	- قَطْرُ النّدى وبلّ الصّدى لابن هشام. 2- شرح ابن عقيل لألفيّة ابن مالك. 3- مغني اللّبيب لابن هشام.
الصّرف	1- قواعد الصّرف بأسلوب العصر، محمد بكر إسماعيل. 2- التّحليل الصّرفي، ياسين الحافظ.	1- إتحاف الطّرف في فنّ الصّرف، ياسين الحافظ. 2- شذا العرف في فنّ الصّرف لأحمد الحملاوي.	1- مناهل الرّجال ومراضع الأطفال بلبان. 2- معاني لاميّة الأفعال، تأليف محمد أمين بن عبد الله الأثيوبي الهرري.
البلاغة	البلاغة الواضحة، تأليف علي الجارم ومصطفى أمين.	علوم البلاغة، مصطفى مامو.	أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز للجرجاني.
التوحيد	1- الثّلاثة الأصول وأدلّتها بشرح الشيخ	1- العقيدة الواسطيّة للإمام ابن تيميّة بشرح	1- تهذيب العقيدة الطّحاوية عثمان

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
التّوحيد	ابن عثيمين. 2- القواعد الأربعة. 3- متن كتاب التّوحيد. كلّها لمحمد ابن عبد الوهّاب، بشرحه فتح المجيد، وشرح آخر للشيخ ابن عثيمين: القول السديد بشرح كتاب التوحيد. 4- مقدّمة الرّسالة لابن أبي زيد القيرواني بشرح عبد المحسن العبّاد. 5- عقيدة السّلف أصحاب الحديث، تأليف أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصّابوني (متوفّى في 449 هـ) بتحقيق بدر ابن عبد الله البدر. 6-تحذير السّاجد من اتّخاذ القبور مساجد للألباني. 7- التوسّل: حكمه، أحكامه للألباني. 8- شرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن وهف القحطاني. 9- القولُ السّديد في	خليل هرّاس، وشرح محمد الصّالح العثيمين. 2- بحوث في عقيدة أهل السّنة والجماعة للدكتور ناصر العقل. 3- القائد إلى تصحيح العقائد للمعلّمي اليماني بتحقيق الألباني. 4- معارج القبول لأحمد حافظ حكمي. 5- رسالة: أين الله؟ دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية، لسليم الهلالي. 6- تهذيب رسالة الشّرك ومظاهره، تأليف مبارك بن محمد الميلي، هذّبها واختصرها سعد بن عبد الرحمن الحصين. 7- السّنة للإمام أحمد. 8- خلق أفعال العباد للإمام البخاري. 9- شرح كشف الشبهات، تأليف محمد ابن صالح العثيمين.	الخميس. 2- مختصر الحمويّة لابن عثيمين مع شرح أصلها للشيخ محمد أمان الجامي في أشرطة. 3- الفتوى التّدمرية لابن تيميّة. 4- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد العثيمين. 5- أصول اعتقاد أهل السّنة والجماعة، تأليف اللاّلكائي. 6- الشّريعة للآجرّي. 7- الإبانة الصّغرى لابن بطّة العكبري. 8- السّنة لابن أبي عاصم بتحقيق الألباني. 9- كتاب الإيمان لابن تيميّة بتحقيق الألباني. 10- كتاب الإيمان لابن منده. 11- تعليق خفيف على متن الطّحاوية

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
	الرّدّ على من أنكر تقسيم التوحيد، تأليف عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.		للألباني. 12- سلسلة عمر سليمان الأشقر في العقيدة (8 كتب). 13- التّوحيد لابن خزيمة. 14- مجموع فتاوى ابن تيمية من المجلّد الأوّل إلى الثّامن.
علوم القرآن (تُدرَسُ قبل التّفسير)	مقدّمة في أصول التّفسير لابن تيمية بشرح الشيخ ابن عثيمين.	مباحث في علوم القرآن، تأليف منّاع القطّان.	1- مختصر الإتقان في علوم القرآن للسّيوطي، هذّبه واختصره بازمول. 2- المُأَوِّلون في التفسير للمغراوي.
التّفسير	1- الصّحيح المسند من أسباب النزول، تأليف مقبل بن هادي الوادعي. 2- تيسير المنّان لتفسير كلام الرحمن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السّعدي.	1- تفسير ابن كثير بتحقيق السيّد محمد السيّد وأصحابه. 2- تفسير الآلوسي. 3- التّفسير القيّم لابن القيم.	1- تفسير الطّبري بتحقيق أحمد شاكر. 2- دقائق التّفسير لابن تيمية بتحقيق محمد السّيد الجليند. 3- أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.
تفسير آيات الأحكام	أحكام القرآن للشّافعي جَمَعه البيهقي.	1- أحكام القرآن لمحمد بن أبي بكر بن العربي.[1]	الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد

[1] - هو أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي المتوفّى سنة (543 هـ) عالِمٌ سُنّيٌّ، وليس هو محيي الدّين بن عربي الصّوفي الضّالّ المبتدع صاحب كتاب فصوص الحِكم، وكتاب الفتوحات المكّية، وغيرها من كتب الضّلالة

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
تفسير آيات الأحكام		2- أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن عليّ الجصّاص.	القرطبي بتحقيق وتخريج محمد إبراهيم الحفناوي ومحمود حامد عثمان.
السّماع أو القراءة في كتب الحديث النّبوي الشّريف	1- الأربعون النّووية. 2- الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، تأليف مصطفى العدوي. 2- عمدة الأحكام لابن قدامة. 3- الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد. 4- المحرّر في الحديث لمحمد بن عبد الهادي. 5- الأحكام الصّغرى	1- مشكاة المصابيح للتّبريزي. 2- سنن التّرمذي. 3- سنن أبي داود. 4- صحيح البخاري. 5- صحيح مسلم. 6- سنن النّسائي. 7- سنن ابن ماجة. 8- موطّأ الإمام مالك[1]. 9- صحيح ابن خزيمة بتحقيق مصطفى الأعظمي.	1- صحيح ابن الجارود. 2- جامع الأصول لابن الأثير، بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط. 3- معاجم الطّبراني الثلاثة بتحقيق حمدي السّلفي. 4- مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفويّة للإمام الصّغاني.

والبدعة، وله تفسير للقرآن مليء بالضّلالات مثل تبرئة فرعون من الكفر، وأنّ قوم نوح الذين أغرقهم الله هم مؤمنون!! فالحذر الحذر من خزعبلاته وضلالاته!!

[1] - فائدة: إن قيل: لماذا أُخِّرَ موطّأ مالك وصحيح البخاري في الترتيب ؟ فالجوابُ: أنّ الطّالبَ أوّل ما يحتاج إليه هو: تحقيق أقوال العلماء وأنواع الحديث، وهذه وظيفة سنن الترمذي. ثم يحتاج الطّالب إلى أدلّة الأئمة، وهذا عند أبي داود. ثم طرق الاستنباط وهذا عند البخاري. ثم جَمْعُ الرّوايات الكثيرة، وهذا عند مسلم. ثم على علل الحديث، وهذا عند النَّسائي. ثم التّنبيه على الضّعيف، وهذا عند ابن ماجة. ثم التأييد بالآثار، وهذا عند مالك في الموطّأ. وهذا التّرتيب يُعمَلُ به في الهند لسماع الأحاديث المسمّى بدورة الحديث بعد الانتهاء من تدريس كتاب مشكاة المصابيح. (انظر كتاب موسى النّدوي عن البخاري حياته وآثاره).

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
السّماع أو القراءة في كتب الحديث النّبوي	لعبد الحق الإشبيلي. 6- بلوغ المرام للحافظ ابن حجر العسقلاني. 7- رياض الصالحين للنووي. 8- صحيح الترغيب والترهيب للمنذري بتحقيق الألباني. 8- مختصر البخاري للألباني. 9- مختصر صحيح مسلم للمنذري بتحقيق الألباني.	10- سنن الدّارمي بتحقيق فوّاز أحمد زمرلي وخالد العلمي. 11- سنن البيهقي. 12- سنن الدّار قطني بتحقيق شعيب الأرناؤوط. 13- صحيح ابن حبّان. 14- مسند أبي داود للطّيالسي.	5- جمعُ الفوائد من جامع الأصول والزّوائد للعلاّمة محمد بن سليمان بتحقيق الشيخ المعلّمي اليماني. 6- مسند الإمام أحمد بتحقيق شعيب الأرناؤوط وأصحابه. 7- صحيح الجامع الصّغير وزيادته للسّيوطي بتخريج الألباني. تنبيه: وعلى الطّالب أن يسمع ما استطاعَ من كتب وأجزاء الحديث النبوي الشريف.
شرح الحديث النّبوي الشريف	1- شرح الأربعين النّووية للشيخ ابن عثيمين، والشيخ عبد المحسن العبّاد. 2- شرح الأربعين النّووية للشيخ صالح آل الشيخ. 3- إيقاظ الهمم من جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، واختصره سليم الهلالي. 4- صحيح الأحاديث	1- توضيح الأحكام من بلوغ المرام للشيخ عبد الله البسّام. 2- شرح ابن العربي لسنن التّرمذي. 3- معالم السّنن شرح سنن أبي داود للخطّابي بتحقيق أحمد شاكر. 4- بهجة النّفوس شرح مختصر لصحيح البخاري لابن أبي جمرة. 5- شرح سنن النّسائي	1- تحفة الأحوذي شرح سنن التّرمذي للمباركفوري. 2- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي مع تعليقات ابن القيّم على سنن أبي داود. 3- 4: التّمهيد والاستذكار في شرح موطّأ مالك لابن عبد البرّ.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
شرح الحديث النّبوي الشريف	القدسية وشرحها، باعتناء محمود بن الجميل. 5- شرح مختصر لرياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين. 6- شرح رياض الصالحين لسليم الهلالي. 7- إخبار أهل الرّسوخ والتّحديث بمقدار المنسوخ من الحديث لابن الجوزي. 8- الاعتبار في النّاسخ والمنسوخ من الآثار للعلاّمة أبي بكر محمد ابن موسى بن حازم الهمذاني. 9- البيان والتعريف في أسباب وُرود الحديث الشريف للحُسَيْني. 10- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد. 11- تيسير العلاّم شرح عمدة الأحكام للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسّام.	للسّيوطي. 6- تنوير الحوالك شرح موطّأ مالك للسّيوطي. 7- شرح السّنة للبغوي بتحقيق الأرناؤوط.	5- سبل السّلام للصّنعاني. 6- نيل الأوطار للشّوكاني. 7- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني. 8- شرح صحيح مسلم للنّووي. 9- فيض القدير شرح الجامع الصّغير للمناوي. 10- تحفة الأخيار بترتيب مشكل الآثار للطّحاوي -بتحقيق وترتيب أبي الحسن محمود الرّداد. 11- سلسلة الأحاديث الصّحيحة للألباني.
مصطلح الحديث	1- مصطلح الحديث للشيخ محمد العثيمين. 2- تيسير مصطلح الحديث تأليف محمود الطّحان.	1- الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث لأحمد شاكر، وبشرح الشيخ مقبل الوادعي	1- توضيح الأفكار للصّنعاني. 2- النكت على مقدّمة ابن الصّلاح

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
مصطلح الحديث	3- شرح نزهة النّظر في توضيح نخبة الفِكر لابن حجر العسقلاني بشرح العلاّمة محمد بن صالح العثيمين في كتاب، والشيخ سعد الحميد في أشرطة. 4- شرح البيقونية للشيخ ابن عثيمين. 5- التّعليقات الأثريّة على المنظومة البيقونية لعليّ بن حسن الحلبي. 6- لغة المحدّث، نظم وشرح طارق بن عوض الله بن محمد.	في أشرطة، وشرح الشيخ الحلبي. 2- النّكت على نزهة النّظر لعليّ بن حسن الحلبي. 2- تدريب الرّاوي شرح تقريب النّواوي للسّيوطي. 3- علم مصطلح الحديث التطبيقي بقلم علي بن إبراهيم حشيش.	لابن حجر العسقلاني بتحقيق الشيخ ربيع المدخلي. 3- فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسّخاوي بتحقيق عليّ حُسَيْن، وشرح الشيخ سعد الحميد في أشرطة. 4- أسباب اختلاف المحدّثين في قبول الأحاديث وردّها، تأليف خلدون الأحدب.
علم الرِّجال (الرُّوَاة)	كتاب علم الرّجال، تأليف محمد مطر الزّهراني.	كتاب علم الرّجال للمعلّمي اليماني.	تقريب التّهذيب لابن حجر العسقلاني.
التّراجم	1- الإصابة في تمييز الصّحابة للعسقلاني. 2- الطبقات السّنية في تراجم الحنفيّة. 3- الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون المالكي بتحقيق الدكتور عليّ عمر.	1- طبقات الشافعية للسّبكي. 2- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى. وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي. 3- وفيات الأعيان لابن خلّكان.	1- الأنساب للسّمعاني. 2- توضيح المشتبه لابن ناصر الدين. 3- سير أعلام النّبلاء للحافظ الذّهبي. 4- الأعلاَم: قاموس تراجم لخير الدّين الزّركلي.
تطبيقات تخريج الأحاديث	1- أصول التخريج ودراسة الأسانيد بقلم محمود الطّحان. 2- تخريج أحاديث مشكلة الفقر	1- تخريج أحاديث الكشّاف للزّمخشري بتخريج العسقلاني. 2- التّلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرّافعي	1- الدّراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر العسقلاني. 2- تخريج العراقي لأحاديث إحياء علوم

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
	للقرضاوي بتخريج الألباني. 3- غاية المرام بتخريج أحاديث الحلال والحرام للألباني.	الكبير للعسقلاني. 3- نصب الرّاية لأحاديث النّهاية للزّيلعي.	الدّين. 3- تخريج أحاديث المدوّنة الكبرى، حمدي الدّمرداش. 4- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السّبيل للألباني.
القواعد الفقهيّة	1- القواعد الفقهيّة بين الأصالة والتّوجيه، تأليف محمد بكر إسماعيل. 2- القواعد الفقهيّة لابن رجب الحنبلي بتحقيق مشهور بن حسن، وبشرح الشيخ ابن عثيمين في أشرطة.	1- القواعد الفقهيّة لعليّ أحمد النّدوي. 2- شرح القواعد الفقهيّة، تأليف الشيخ أحمد الزّرقاء.	1- القواعد للمقرّي التلمساني بتحقيق أحمد بن عبد الله بن حميد. 2- الفروق للقرافي. 3- إعلام الموقّعين لابن القيّم. 4- موسوعة القواعد الفقهيّة، تأليف محمد صدقي بن أحمد.
اللغة	1- تقويم اللّسانين لمحمد تقيّ الدّين الهلالي. 2- معجم الأخطاء الشّائعة. 3- مختار الصّحاح لمحمد بن أبي بكر الرّازي.	1- المعجم الوسيط، تأليف مجمع اللّغة العربية.	1- القاموس المحيط للفيروزآبادي. 2- لسان العرب لابن منظور.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
أصول الفقه	1- الأصول من علم الأصول للشيخ العثيمين مع شرحه في أشرطة. 2- الواضح في أصول الفقه، لمحمد الأشقر. 3- تيسير الوصول إلى علم الأصول، تأليف عبد المحسن العبّاد، وعطيّة سالم. 4- الورقات للجويني بشرح عبد الله الفوزان. 5- علم المقاصد الشّرعية للدكتور نورالدين بن مختار الخادمي. 6- التأسيس لأصول الفقه على منهج أهل السّنة والجماعة، للجيزاني.	1- أصول الفقه لزكيّ الدّين شعبان. 2- الرّسالة للإمام الشافعي بتحقيق أحمد شاكر. 3- التّجديد والمجدّدون في أصول الفقه، تأليف عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم. 4- أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية لمحمد الأشقر. 5- الاختلافُ وما إليه لمحمد بن عمر بازمول.	1- إرشاد الفحول للشّوكاني. 2- شرح الأسنوي على المنهاج. 3- شرح الكوكب المنير لابن النّجّار. 4- الموافقات للشاطبي بتعليق عبد الله درّاز، وتحقيق مشهور بن حسن.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
الفقه المذهبي (انظر التنبيه في ص91) الفقه الحنفي	الهداية للمرْغِينَاني	1- فتح القدير لابن الهُمَام. 2- بدائع الصّنائع للكاساني.	حاشية ابن عابدين
الفقه المالكي	1- الرّسالة لابن أبي زيد القيرواني. 2- شرحها بعنوان الثّمر الدّاني. 3- التّلقين في الفقه المالكي للقاضي عبد الوهاب، تحقيق محمد ثالث سعيد الغانيّ.	1- المعونة في الفقه المالكي للقاضي عبد الوهاب. 2- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي لابن عبد البرّ. 3- القوانين الفقهيّة لابن جُزَي. 4- الجواهر الثّمينة لفقه عالم أهل المدينة لابن شاس بتحقيق بكر أبو زيد.	1- المدوّنة الكبرى برواية سحنون عن ابن القاسم عن الإمام مالك بتخريج حمدي الدّمرداش. 2- الذّخيرة للقرافي. 3- المعيار المعرب للونشريسي.
الفقه الشّافعي	1- المنهاج للنّووي. 2- مغني المحتاج شرح المنهاج لمحمد الشربيني.	1- روضة الطّالبين للنووي. 2- كفاية الأخيار للحصني.	1- كتاب الأمّ للشافعي. 2- المجموع شرح المهذّب للنووي.
الفقه الحنبلي	1- عمدة الفقه لابن قدامة بتخريج الأحاديث لعبد الله بن سفر الغامدي، ومحمد العتيبي. 2- العُدّة شرح العمدة لبهاء الدّين المقدسي.	1- زاد المستقنِع للشيخ شرف الدّين موسى الحجاوي. 2- السّلسبيل في معرفة الدّليل وهو حاشية على زاد المستقنِع لصالح بن إبراهيم البليهي.	1- الكافي لموفّق الدّين المقدسي. 2- مسائل الإمام أحمد لأبي داود. 3- الشرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ ابن عثيمين.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
الفقه المقارن	1- الإجماع لابن المنذر بتحقيق أبي حمّاد صغير أحمد الأنصاري. 2- الإجماع لابن عبد البرّ. 3- نقد مراتب الإجماع لابن تيمية. 4- الإقناع لابن المنذر بتحقيق صغير أحمد بن حنيف الأنصاري. 5- الأوسط لابن المنذر. 6- مسائل في الفقه المقارن، تأليف عمر سليمان الأشقر وغيره. 7- الاتّباع لابن أبي العزّ الحنفي.	1- بداية المجتهد لابن رشد مع كتاب طريق الرّشد إلى تخريج أحاديث بداية ابن رشد للشيخ عبد اللّطيف بن إبراهيم. 2- جامع الفقه (موسوعة ابن القيّم) جمع وتوثيق يُسرِي السّيد محمد). 3- مذكّرة فقه للشيخ ابن عثيمين بعناية محمود بن الجميل.	1- القواعد النّورانيّة الفقهيّة لابن تيميّة. 2- طرح التّثريب شرح التّقريب للحافظ العراقي. 3- صحيح فقه السّنة وأدلّته وتوضيح مذاهب الأئمة، تأليف كمال بن السّيد سالم. 4- المغني لابن قدامة. 5- المحلّى لابن حزم بتحقيق أحمد شاكر مع أخذ الحذر من عقيدة ابن حزم فلم يكن على الجادّة، وكذلك الحذر من ظاهريّته في بعض المسائل الفقهيّة[1]. 6- التّرجيح في مسائل الطّهارة والصّلاة، تصنيف محمد بن عمر بازمول.

[1] - انظر الكلام على عقيدة وفقه ابن حزم في كتاب: ابن حزم موقفه من الإلهيات، تأليف أحمد بن ناصر الحَمَد، وانظر سيَر أعلام النّبلاء للحافظ الذّهبي (18/ 184- 212).

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
موضوعات فقهيّة عامّة	1- صفة وضوء النبيّ ﷺ، تأليف الدّوسري. 2- صفة غسل النبي ﷺ، تأليف أبي سعيد الجزائري. 3- صفة تيمّم النبيّ ﷺ، تأليف محمود الجزائري. 4- صفة صلاة النبيّ ﷺ للعلاّمة الألباني. 5- القول المبين في أخطاء المصلّين، لمشهور حسن سلمان. 6- صفة صوم النبيّ ﷺ لعليّ الحلبي، وسليم الهلالي. 7- التّلخيصات لجلّ أحكام الزكاة لعبد العزيز السّلمان. 8- حجّة النبيّ ﷺ للألباني. 9- أحكام الجنائز له أيضًا. 10- قيام رمضان له أيضًا. 11- أحكام العيدين لعليّ الحلبي. 12- جلباب المرأة المسلمة للألباني. 13- تحريم آلات الطّرب للألباني.	1- حُكم الدّين في اللّحية والتّدخين، لعليّ الحلبي. 2- الدّعاء، تأليف عبد الله الخضري. 3- الدّعاء، تأليف حسين العوايشة. 4- تصحيح الدّعاء لبكر أبو زيد. 5- الإنباء بأخطاء الخطباء، بقلم سعود بن ملوح العنزي. 6- آداب الزّفاف في السّنة المطهّرة للألباني. 7- الانشراح في آداب النّكاح لأبي إسحاق الحويني. 8- نظام الأسرة في ضوء الكتاب والسّنة، تأليف صغير أحمد بن حنيف الأنصاري. 9- أحكام المال الحرام، للدكتور عبّاس أحمد محمد الباز، تحت إشراف عمر سليمان الأشقر. 10- أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية. إعداد ازدهار بنت محمود. 11- الألعاب الرياضية أحكامها وضوابطها في الفقه الإسلامي، تأليف عليّ حسين أمين يونس.	1- المسائل الماردينيّة للإمام ابن تيمية: 2- الموسوعة الفقهيّة الميسّرة في فقه الكتاب والسّنة، تأليف حسين العوايشة. 3- جامع أحكام النّساء، تأليف مصطفى العدوي. 3- معجم المناهي اللّفظية لبكر أبو زيد. 4- الكبائر للذّهبي بتحقيق هاني الحاج. 5- قاموس تفسير الأحلام. لخالد العنبري. 6- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجلُه الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
كتب الفتاوى	1- فتاوى الإمام النّووي. 2- فتاوى الإمام عبد الرّزاق عفيفي. 3- فتاوى كبار علماء الأمّة في المسائل العصرية المهمّة، جمْعُ وعناية أحمد بدر الدّين، وطه بن محمد بن عبد الكريم. 4- الفتاوى المتعلّقة بالطبّ وأحكام المرضى بإشراف الشيخ صالح الفوزان.	1- فتاوى كبار علماء الأمّة في المسائل النّسائيّة المهمة، جمع أحمد بدر الدّين، وطه ابن محمد بن عبد الكريم. 2- فتاوى الشيخ عبد الحميد باديس ضمن آثار ابن باديس. 3- فتاوى الشيخ أحمد حمّاني. 4- فتاوى الإمام ابن باز.	1- فتاوى إسلامية، جَمع وترتيب محمد بن عبد العزيز المسند. 2- الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصريّة. 3- فتاوى اللّجنة الدّائمة للبحوث العلميّة والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد ابن عبد الرّزّاق الدّويش. 4- قرارات المجمّع الفقهي.
الأدب وتراجم أهله	أدب الكاتب لابن قتيبة	تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرّافعي.	يتيمة الدّهر للثّعالبي.
الشّعر والنّثر	1- منظومة الجزاز وشروحها. 2- ديوان الشافعي.	المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تأليف نصر الله بن محمد ابن الأثير.	1- ديوان حسّان بن ثابت ﷺ. 2- ديوان كعب بن زهير ﷺ. 3- أشعار الجيّدين من المتقدّمين والمتأخّرين.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
السّيرة النبويّة	1- الفصول في سيرة الرّسول ﷺ للإمام ابن كثير، بتحقيق سليم الهلالي. 2- مختصر سيرة الرّسول ﷺ، تأليف محمد بن عبد الوهاب. 3- السّيرة، تأليف محمود المصري.	1- مختصر شمائل الرسول ﷺ للترمذي، اختصره الألباني. 2- صحيح السّيرة النبوية، تأليف إبراهيم العليّ.	1- السّيرة النبوية لابن هشام. 2- السّيرة النبوية للذهبي. 3- السّيرة النبوية لابن كثير. 4- صحيح السّيرة النبوية للطّرهوني. 5- زاد المعاد لابن القيّم بتحقيق الأرناؤوطين عبد القادر وشعيب.
التّاريخ	1- الإعلان بالتّوبيخ لمن ذمّ التاريخ للسّخاوي. 2- الشّماريخ في علم التاريخ للسيوطي.	1- العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي بتحقيق مهدي الإسطنبولي، وعبد القادر الأرناؤوط. 2- كشف مواقف الصحابة في الفتنة، تأليف محزون. 3- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تأليف الشيخ مبارك بن محمّد الميلي. 4- أخطاء المؤرّخ ابن خلدون في كتابه المقدّمة للدكتور خالد كبير علاّل.	1- الهداية في ترتيب فوائد البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، كتبه أبو عمّار ياسر العدني. 2- البداية والنهاية لابن كثير، أشرف على تحقيقه الشيخ مصطفى العدوي.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
التّحذير من البدع	1- البدع والنّهي عنها لمحمد بن وضّاح الترصبي. 2- الحوادث والبدع لأبي الوليد الطرطوشي بتحقيق علي الحلبي. 3- الإبداع في كمال الشّرع وخطر الابتداع، تأليف الشيخ ابن عثيمين. 4- تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدّين وما في البدع من الأخطار للشيخ صالح بن سعيد السّحيمي.	1- السّنن والمبتدعات، تأليف محمد بن عبد السلام السقيري. 2- أصول البدع لعليّ الحلبي.	1- الإبداع في مضارّ الابتداع، تأليف الشيخ عليّ محفوظ. 2- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية. 3- مجموع فتاوى ابن تيمية (11/ 445-475)، و(20/ 103-105). 4- الاعتصام للشاطبي بتحقيق سليم الهلالي.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
التّحذير من المبادئ الهدّامة	1- المنتقى النّفيس من كتاب تلبيس إبليس، تأليف عليّ الحلبي. 2- إغاثة اللّهفان لابن القيّم باختصار وتحقيق عليّ الحلبي. 3- الرّدّ على الزّنادقة والجهميّة للإمام أحمد ابن حنبل. 4- قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أبيدوا أهله. تأليف جلال الكشك. 5- تحت راية القرآن، تأليف مصطفى صادق الرّافعي.	1- حكم الإسلام في الاشتراكيّة. 2- حكم الإسلام في الرّأسماليّة، تأليف الشيخ عبد العزيز البدري. 3- حكم الإسلام في الدّيمقراطية، تأليف محمود الخالدي. 4- موقف الإسلام من نظرية ماركس، تأليف أحمد العوايشة. 5- المجلّد الثّالث من آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس. 6- الخوارج دعاة على أبواب جهنم. تأليف محمود الطّفي عامر. 7- المدارج في كشف شبهات الخوارج. تأليف أحمد بازمول.	1- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل. تأليف أبي المعالي الجويني بتحقيق أحمد حجازي السّقا. 2- هداية الحيارَى إلى أجوبة اليهود والنصارى لابن القيّم بتحقيق محمد أحمد الحاج. 3- إظهار الحقّ في الرّدّ على النصارى، تأليف رحمة الله الكيرواني بتحقيق محمد بن أحمد ملكاوي (وهو من أحسن الكتب في الرّدّ على النصارى). 4- الخطوط العريضة لعقائد الشّيعة الاثني عشرية لمحبّ الدّين الخطيب. 5- منهاج السّنة في نقد كلام الشّيعة القدريّة، تأليف الإمام ابن تيمية بتحقيق محمد رشاد سالم. 6- مجموعة الشيخ إحسان إلهي ظهير في الرّدّ على الشّيعة والباطنية في كتب وأشرطة (وهي من أحسن الرّدود على الرّافضة وفِرَق الباطنية).

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
المِلَل والفِرق	1- دراسات في الفِرَق، تأليف صابر طعيمة. 2- محاضرات في الأديان والفِرَق، تأليف عبد القادر شيبة الحمد. 3- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية لبكر أبو زيد.	1- الفَرْق بين الفِرَق، تأليف طاهر البغدادي. 2- الفِصَل في الأهواء والمِلَل والنِّحَل لابن حزم الأندلسي. 3- الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث للأستاذ خالد كبير علاّل. 4- إيثار الحق لأبي عبد الله المرتضى اليماني.	1- الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة تحت إشراف مانع بن حمّاد الجهني. 2- مجموع فتاوى ابن تيميةّ، المجلّدات: (3/ 341،344)،(3/ 415،416،419)، (4/ 46،154)،(11/ 512،514،515)، (3/ 416،46،342)[1].

[1] - نقلاً عن كتاب حلية طالب العلم لبكر أبو زيد (ص 61).

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
الأخلاق والآداب والتّزكية والرّقائق	1- الأخلاق والسّيَر في مداواة النّفوس لابن حزم. 2- المنتقى من ذمّ الهوى لابن الجوزي. 3- الإخلاص. 4- حصائد الألسن كلاهما لحسين العوايشة. 5- برّ الوالدين، نظام سكجها. 6- فقه التّعامل مع العلماء لعبد الرحمن اللّويحق. 7- حقوق النساء في الإسلام لمحمد رشيد رضا بتخريج الألباني. 7- تزكية النفوس عند أهل السّنة لأحمد فريد. 8- البحر الرّائق في الزّهد والرّقائق لأحمد فريد. 9- معالم في السّلوك وتزكية النفوس، تأليف عبد العزيز بن محمد العبد اللّطيف. 10- العبوديّة مسائل وقواعد ومباحث، عبد العزيز بن محمد العبد اللّطيف.	1- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، تأليف عبد الرحمن النّحلاوي. 2- منهاج الصالحين في الآداب الإسلامية. تأليف محمد عبد العاطي بحيري. 3- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة بتحقيق عليّ الحلبي. 4- الفوائد لابن القيّم بتحقيق سليم الهلالي. 5- طريق الهجرتين وباب السّعادتين لابن القيّم. 6- مدارج السّالكين لابن القيّم. 7- مفتاح دار السّعادة لابن القيّم.	1- بدائع الفوائد لابن القيّم بتحقيق بتحقيق عليّ بن حسن الحلبي. 2- الآداب الشّرعيّة لابن مفلح. 3- المروءة وخوارمها. تصنيف أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. 4- الأدب المفرد للبخاري بشرح الشيخ فضل الله الجيلاني المسمّى فضل الله الصّمد في توضيح الأدب المفرد، وبشرح حسين العوايشة بعنوان: شرح صحيح الأدب المفرد للألباني.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
آدابُ الإفتاء	1- آدابُ المفتي والمستفتي لابن حمدان بتحقيق الألباني. 2- نظام الإفتاء لعبد الكريم زيدان.	آدابُ المفتي والمستفتي لابن الصّلاح.	الفتوى في الإسلام، تأليف محمد جمال الدّين القاسمي.
آداب المناظرة والحوار	1- رسالة الوضع للشريف الجرجاني. 2- آداب الحوار، إعداد المنتدى الإسلامي بجدّة. 3- أدب البحث والمناظرة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.	1- أدب البحث العضدية، تأليف عضد الدّين. 2- الحوار دائمًا للدكتور شوقي أبو خليل. 3- أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة لمحمد بن إبراهيم الحمد.	1- مجموع فتاوى ابن تيميّة (24/ 172-174). 2- فنّ الحوار، تأليف فيصل بن عبدة قائد الحاشديّ.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
مهمّات الطب	1-كتاب الطّبّ النّبوي ضمن زاد المعاد لابن القيّم. 2- الأعشاب الطّبية من الحديقة النبويّة، تأليف يحي محمودي. 3- أخطاء شائعة عن الطب النفسي، للدّكتور طارق الحبيب.	1- تذكرة الشيخ داود ابن عمر الأنطاكي[1]. 2- المعتمد في الأدوية المفردة. تأليف يوسف بن عمر التركماني، ضبطه وصححه محمود عمر الدمياطي.	1- قاموس الغذاء والتّداوي بالنبات لأحمد قدامة. 2- قاموس الطّبخ الصحيح لأحمد قدامة[2]. 3- الذخيرة في علم الطب، معالجة الأمراض بالأعشاب للعلاّمة ثابت بن قرة. تحقيق أحمد فريد المزيدي. 4- الشفاء بالنباتات والأعشاب والطب الطبيعي من القانون في الطب، لابن سينا. ضبطه محمد أمين الضّناوي.

[1] قال الشوكاني رحمه الله مادحا كتاب تذكرة الشيخ داود: " ولو كمل بالمعالجات لكان مغنيا عن غيره، ولكنه انقطع بعد أن شرع في الكلام على معالجات العلل على حروف (أبجد) فوصل إلى حرف الطاء ثم انقطع الكتاب"اهـ من كتاب أدب الطلب (ص142-143).

[2] - قد يتعجّبُ بعض الناس من إيرادي لكتاب في الغذاء، وآخر في الطّبخ، والجواب: إنه مما يساعد -في نظري- على امتثال الحديث الصحيح: «بحَسْب ابن آدم لقيمات يقمن صلبَه....» معرفة فوائد أو مضارّ الأطعمة حتى يعتني المسلم بنوع طعامه أكثر من عنايته بكمّيته، والله أعلم.
هذا وقد أشار الحافظ الذّهبي إلى استحباب معرفة مهمّات الطّب كما في رسالة مسائل في طلب العلم وأقسامه بتحقيق عمرو بن عبد المنعم سليم (ص31).

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
السّياسة الشّرعية	1- البيعة بين السّنة والبدعة. 2- فقه الواقع بين النظرية والتطبيق لعليّ ابن حسن الحلبي. 3- فقه التعامل مع الحاكم، تأليف عبد القادر هنادي. 4- فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسّنة وأقوال سلف الأمة، لخالد العنبري. 5- توزيع الثروات في الإسلام، لمحمد أمان الجامع، تقديم وتعليق الشيخ الفوزان. 6- الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، جمع وإعداد محمد بن فهد الحصين. 7- مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري على ضوء الكتاب والسنة. إعداد وحوار عبد الله بن محمد. 8- أثر القوانين الوضعية في الحكم على الدّار بالكفر أو الإسلام، تأليف خالد العنبري.	1- السّياسة الشّرعية في إصلاح الرّاعي والرّعية لابن تيمية. 2- الطّرق الحكمية في السياسة الشّرعية لابن القيّم بتحقيق الشيخ جميل غازي. 3- الأحكام السّلطانية للماوردي. 4- الأحكام السّلطانية للقاضي أبي يعلى. 5- السّنة فيما يتعلّق بوليّ الأمّة. تأليف أحمد بازمول. 6- معاملة الحكّام في ضوء الكتاب والسّنة. تأليف عبد السلام بن برجس. 7- المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أسئلة أجاب عليها الشيخ ابن باز، إعداد أبي عبد الله ابن إبراهيم الوايلي. 8- منهج الإسلام في الحرب والسّلام، تأليف عثمان ضميريّة.	1- أحكام الذّمّيين لعبد الكريم زيدان. 2- أحكام أهل الذّمة لابن القيّم. 3- كتاب الخراج لأبي يوسف، وكتاب الخراج ليحي بن آدم، وكتاب الاستخراج لأحكام الخراج لابن رجب الحنبلي. 4- كتاب الأموال للقاسم بن سلاّم. 5- مجموعة الوثائق السياسة للعهد النبوي والخلافة الرّاشدة، تأليف محمد حميد الله. 6- تخريج الدّلالات السّمعية للخزاعي بتحقيق إحسان عبّاس.

المادّة	كتب المرحلة الأولى	كتب المرحلة الثّانية	كتب المرحلة الثّالثة
فقه الدّعوة	1- التّصفية والتّربية، تأليف سليم الهلالي. 2- خصائص أهل السّنة، أحمد فريد. 3- نحو منهج السّلف، علي الحلبي. 4- طريق الدّعوة إلى الإسلام. محمد أمان الجامي. 5- الدّعوة إلى الله بين التّجمّع الحزبي والتعاون الشرعي لعليّ الحلبي. 6- منهج الأنبياء في الدّعوة فيه الحكمة والعقل للشيخ ربيع المدخلي. 7- أسسُ منهج السّلف في الدعوة إلى الله لفوّاز بن هليل السّحيمي. 8- وجادلهم بالتي هي أحسن، مناقشة حول حكام المسلمين، تأليف بندر بن نايف بن صنهات العتيبي.	1- الفرْقُ بين النصيحة والتّعيير لابن رجب الحنبلي، بتحقيق عليّ الحلبي. 2- الصّحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، للشيخ محمد العثيمين. 3- السّراج المنير في تنبيه جماعة التّبليغ على أخطائهم للشيخ تقيّ الدّين الهلالي. 4- جماعة التّبليغ: عقيدتها وأفكار مشايخها، تأليف محمد أسلم. 4- وقفات مع كتاب للدّعاة فقط (في نقد جماعة الإخوان المسلمون). 5- الأحزاب السياسية في الإسلام، تأليف صفيّ الدّين المباركفوري. 6- هل الحزبية وسيلة للحكم بما أنزل الله، تأليف عبد القادر عابدين بن حنفيّة. 7- منهاج الدّعوة السّلفية، تأليف عبد السّلام بن محمد بن عبد الكريم.	1- الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، تأليف أبي بكر أحمد بن محمد الخلاّل بتحقيق عبد القادر أحمد عطا. 2- العذر بالجهل والرّدّ على بدعة التكفير لأحمد فريد. 3- رِفقًا أهل السّنة بأهل السّنة للشيخ عبد المحسن بن حمد العبّاد. 4- الطريق إلى الجماعة الأمّ، تأليف عثمان عبد السلام نوح، وقد لخّصه الشيخ العبيلان في شريطين. 5- مطلع الفجر في فقه الزّجر بالهجر لأسامة الهلالي. 6- المخرج من تحريف المنهج. تأليف عابدين ابن حنفيّة. 7- الغُلُوُّ في الدّين في حياة المسلمين المعاصرة، لعبد الرحمن اللّويحق. 8- موقف أهل السّنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، تأليف إبراهيم الرّحيلي.

تذكير: **أخي الطّالب لا تنسَ أنّ الأصلَ في طلب العلم هو بتلقّيه من أفواه أهل العلم، وليس من الكتب فقط، فاحرصْ على ذلك الأصل ما استطعت، وإذا اضطررت إلى غيره فسدِّد وقاربْ وأحسنْ، إنّ الله يحبّ المحسنين.**

تنبيه مهمٌّ جدًّا حول دراسة الفقه المذهبي: أخي الطّالب: اعلمْ -رحمك الله- أنّ الفقه المذهبي إنما يُدرَسُ للاطّلاع على أقوال العلماء حتى تكون على علم بها لكن لا تقتصر عليها، بل عليك بربط الأحكام بأدلّتها من الكتاب والسّنة، وما يدور في فلكها لأنهما الغاية، وأمّا أقوال أهل العلم فهي وسيلة لا غاية.

قال الإمام الشّوكاني في كتابه أدب الطّلب (ص 144): «ولكن إذا لم يكن لديه من العلم إلاّ ما قد صار عنده من فقه ذلك المذهب فلا ريب أنه يكون عامّي الفهم سيّء الإدراك عظيم البلادة غليظ الطّبع، فعليه أن يبتدئ بتهذيب فهمه وتلقيح فكره بشيء من مختصرات النّحو ومجاميع الأدب حتى تثبت له الفقاهة الصّورية، وأمّا الفقاهة الحقيقية فلا يتّصف بها إلاّ المجتهد بلا خلاف بين المحققين» اهـ.

ورحم الله الإمام ابن القيّم القائل:

العلمُ قال الله قال رسولُه * قال الصحابةُ ليس بالتمويهِ**

ما العلمُ نصبك للخلاف سفاهة * بين الرسول وبين رأي فقيه**

كلا ولا جحد الصّفات ونفيها * حذرا من التّعطيل والتشبيهِ**

وقال الإمام الذّهبي رحمه الله: «ولكن شأن الطّالب أن يدرس أوّلاً مصنّفًا في الفقه فإذا حفظه بحثه وطالع الشّروح، فإن كان ذكيًّا فقيه النفس ورأى حجج الأئمة فليراقب الله وليحتط لدينه، فإن خير الدّين الورع ومن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه والمعصوم من عصمه الله» اهـ (سير أعلام النّبلاء 8/ 90- 91).

وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله في المستصفى من علم الأصول (2/ 353): «فأمّا الكلام وتفاريع الفقه فلا حاجة إليهما، وكيف يحتاج إلى تفاريع الفقه، وهذه التفاريع يولدها المجتهدون ويحكمون فيها بعد حيازة منصب الاجتهاد فكيف تكون شرطًا في منصب الاجتهاد، وتقدّم الاجتهاد عليها شرط ؟؟ نَعَمْ، إنما يحصل منصب الاجتهاد في زماننا بممارسته فهو طريق تحصيل

الدُّربة في هذا الزمان، ولم يكن الطريق في زمان الصحابة كذلك، ويمكن الآن سلوك طريق الصحابة أيضًا»اهـ.

أقولُ: كلام الغزالي السّابق يُتعَقَّبُ به على بعض ما ذهب إليه الأستاذ عبد العزيز القارئ في كتابه برنامج عملي للمتفقّهين في القاعدة الرّابعة حيث جعل التمذهب لا مفرّ منه لطالب العلم في بداية التفقّه بل لا سبيل أمامه إلاّ التّقليد في أوّل الطريق وأيُّ سبيل غير هذا فهو غير عملي»اهـ.

أقولُ: إن كان الأستاذ يقصد بالتمذهب والتقليد دراسةَ مذهب البلد في أول الطلب فلا مانع، حيث لا يوجد من يُعلِم الناس الكتاب والسّنة، وأمّا إذا هيّأ الله لبعض الطلبة من يعلّمهم الفقه المستنبط من الكتاب والسّنة وما يدور في فلكهما فعلى هؤلاء أن يسيروا على منهج الصحابة، ولا مانع من الاستفادة من أقوال علماء مذاهب أهل السنة والجماعة. ورحم الله الإمام مالك القائل: «لا يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلح أوّلها»اهـ. وأمّا إن كان الأستاذ عبد العزيز القارئ يقصد بالتمذهب والتقليد أنّ الطالبَ يطبّق فقه ذلك المتن الفقهي في حياته فهذا خطأ، بل على الطالب أن يسأل أهل العلم الأحياء عن ما يحتاجه من أمور دينه، وأمّا المتن الفقهي فيقرؤه للاطّلاع، وذلك في مرحلة من مراحل الدراسة، ثم يرتقي إلى ما هو أعلى حتى يصل إلى الفقه الذي كان عليه الصحابة ﷺ. هذا هو الأصلُ في البلاد التي يوجد فيها العلم والعلماء . وأمّا إن كان هذا المسلم في بلد خالٍ من ذلك ولا يوجد أمامه إلاّ ذلك المتن الفقهي فلا حرج أن يعبد الله تعالى بذلك المتن. فالتّقليدُ لا بدّ منه عند الضّرورة وإنما المحرّم هو اتّخاذ التقليد دينًا (انظر أنواع التقليد في إعلام الموقّعين لابن القيّم (2/ 187)، ومقدّمة كتاب صفة غسل النبيّ ﷺ)، ورسالتي الهداية إلى أنّ طلب العلم فرض عين ومنه فرض كفاية. فصل في التقليد.

فائدة: كيف يُدرَسُ الفقه ؟ الجواب باختلاف حالة الطّالب: فإن كان يريد التخصّص في دراسة الفقه فعليه بالخطوات الآتية:

أوّلاً: يقرأ متنًا واضحًا في الفقه السّائد في بلده قراءة من أوّله إلى آخره على شيخ متقن.

ثانيًا: يقرأ شرحًا مختصرًا جامعًا لذلك المتن.

ثالثًا: يقرأ أحاديث وآثار الأحكام.

رابعًا: يقرأ فتاوى العلماء في الأحكام قديمًا وحديثًا ليعرف كيف طبّق العلماء الفقهَ والحديث على الوقائع المختلفة.

خامسًا: يطالع أقوال العلماء في المذاهب الأخرى المعتمدة عند أهل السّنة والجماعة فيأخذ منها ومن أقوال مذهب بلده ما هو أقرب إلى الكتاب والسّنة. هذا التدرّج للطالب الذي يريد التخصّص في الفقه. أمّا المسلم الذي لا يريد أو لا يستطيع ذلك فهذا يكفيه أن يدرس كتابًا في الفقه تكون الأقوال فيه تدور مع الدّليل وليس تعصّبًا لأقوال العلماء، فهذا هو المطلوب (ولا أعني بهذا ترك أقوال العلماء، بل المسلم يستعين بها على فَهم دينه فهي وسيلة لا غاية). وهذا المنهج هو لمن اضطرّ إلى أخذ الفقه من الكتب، وإلاّ فالأصلُ أنّ المسلم يسأل أهل العلم عن دينه ولا يأخذ ذلك من الكتب، والله أعلم.

* * *

الخاتمة

وهذا آخر ما تيسّر لي جمعُه لإخواني طلبة العلم -بفضل الله وحده- مع التنبيه أنّني لم أستوعبْ كلّ الكتب، لأنّ عالم الكتب بحر لا ساحل له. فإن أصبتُ فمن الله وحده فله الحمد والشّكر أوّلاً وآخرًا، وإن أخطأتُ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم وأتوب إليه.

وكتب: أبو سعيد بلعيد
ابن أحمد الجزائريّ
الجزائر في: 07 شعبان 1426 هـ
11 سبتمبر 2005 م

تمّ بحمد الله

المحتويات

❖ ❖ ❖